

سيرة

الإمام على بن أبى طالب

كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه

وسيره الى الملك الهضام بن الجحاف

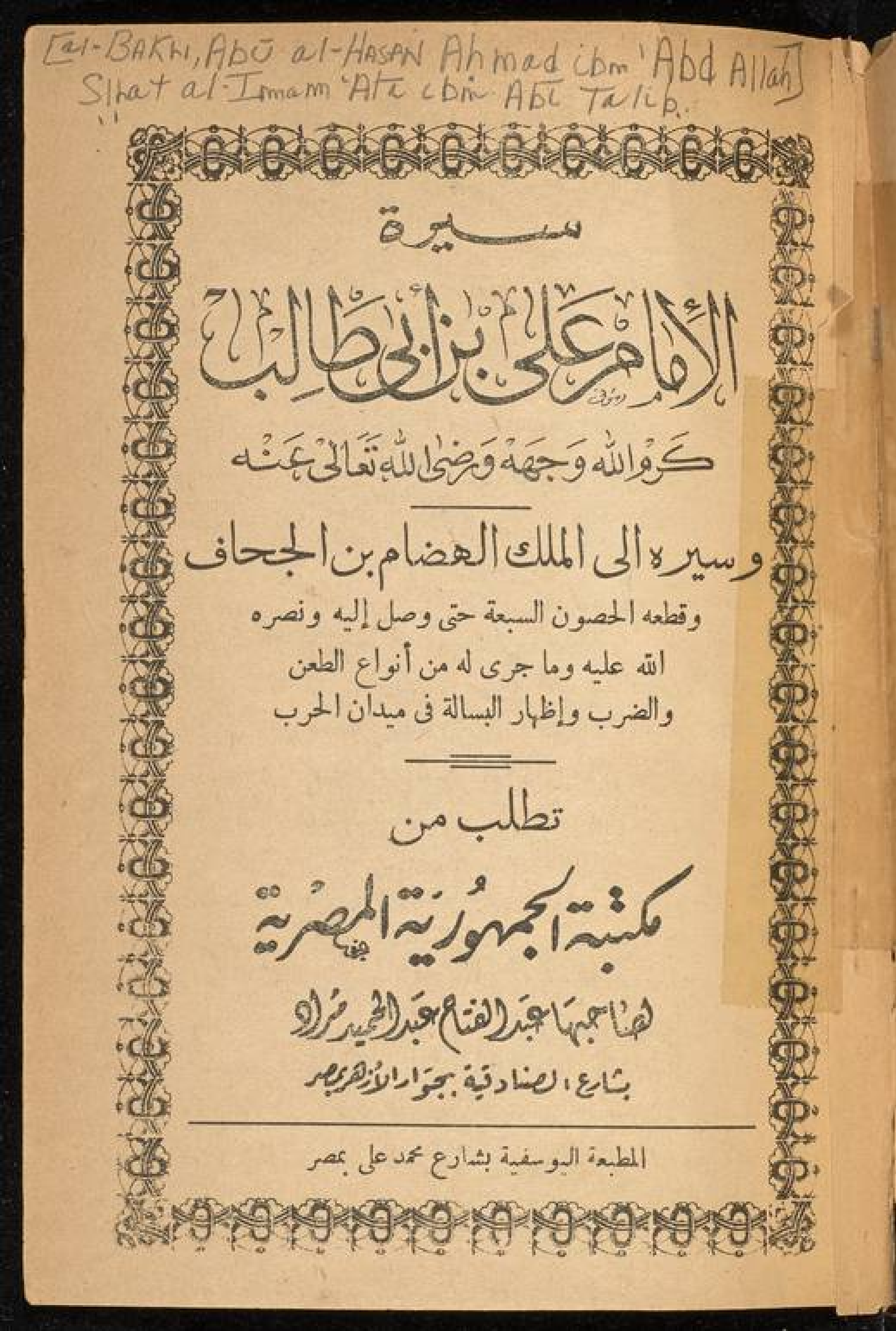
وقطعة الحصون السبعة حتى وصل اليه ونصره الله عليه وماجرى
له من أنواع الطعن والضرب واظهار البسالة فى ميدان الحرب



تطلب من مكتبة الجمهورية المصرية
لصاحبها : عبد الفتاح عبد الحميد مراد
شارع الصادقية بجوار الأزهر الشريف بمصر


BOBST LIBRARY
3 1142 02885 6824


NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES



[al-Bakri, Abu al-Hasan Ahmad ibn 'Abd Allah]
Sirat al-Imam 'Ali ibn Abi Talib.

سيرة

الإمام على بن ابى طالب

كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه

وسيره الى الملك الهضام بن الجحاف

وقطعه الحصون السبعة حتى وصل إليه ونصره
الله عليه وما جرى له من أنواع الطعن
والضرب وإظهار البسالة فى ميدان الحرب

تطلب من

مكتبة الجمهورية المصرية

لصاحبها عبد الفتاح عبد الحميد مراد

بشارع الصنادقية بجوار الأزهر بمصر

المطبعة اليوسفية بشارع محمد على بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تفرد بعز بقائه ونور معرفته قلوب أوليائه ، وطيب أسرار الصادقين بطيب ثنائه . الحي القيوم الذى لا يغرب عنه مثقال ذرة فى أرضه وسمائه أحمده سبحانه وتعالى حمداً تعرف بالعجز عن عدد آلائه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى تفرد بعزه وبقائه وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ عبده ورسوله خاتم أنبيائه وسيد أصفيائه اللهم صلى وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والرسول السند السيد العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحابه صلاة وسلاما دائمين متلازمين بدوام أرضه وسمائه تسليما كثيرا (وبعد) فقد روى أبو الحسن أحمد ابن عبد الله محمد البكرى رضى الله عنه قال حدثنا يوسف بن عبد الله وخالد ابن رفاعة الجهنى قالا حدثنا خلق كثير يروى بعضهم عن بعض فأخذنا من ذلك ما نرجوه إن شاء الله تعالى تعليقه على قدر الروايات قالوا حدثنا صاحب الحديث عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ فى مسجده المبارك وكان يوم ريح ومطر إذ سمعنا صوتا جهوريا من وراء المسجد يقول السلام عليك يا محمد ورحمة الله وبركاته فقال رسول الله ﷺ وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فالتفت لنا رسول الله ﷺ وقال ردوا على إخوانكم السلام رحمكم الله فقلنا يا رسول الله على من نرد ونحن لم نر أحداً نرد على الملائكة أم على الجان فقال بل على إخوانكم الجان الذين آمنوا وصدقوا برسالتى ثم نادى رسول الله ﷺ اظهر لنا أيها المتكلم لنراك فظهر لنا شيخ قال على رضى الله عنه وإذا به عرقطة بن شماخ وكنت به عارفاً لأن النبي ﷺ قد أرسلنى معه إلى قومه فأحرقت بأسماء الله تعالى وبنوره ومنهم زيادة عن خمسين قبيلة من الجن وآمن منهم خلق كثير فسلم عرقطة على رسول الله ﷺ وجلس النبي فقال رسول الله ﷺ ما حاجتك قال يا رسول الله قد جئتك لأخبرك عما نحن فيه من الحرب والوقائع وقتال القبائل الجواهل فقال النبي ﷺ مع من يا عرقطة فقال مع كفار الجن ومردتهم وكذلك مع عفاريتهم عبادة الأوثان فقال رسول الله ﷺ ديارهم قريبة

منا أم بعيدة يا عرقطة فقال يا سيدى فى جبال وأوكار وأودية شتى قد أهلكنا منهم خلقا كثيراً وأهلكوا منا خلقا كثيراً وأن لهم صنما يسمونه المنيع وقد تعالى الله عز وجل عن أن يمثل وهو السميع البصير فصنمهم هذا قائم بخدمة الملك الهضام بن الجحاف بن عوف بن عاثم الباهلى الملقب بمرارة الموت لعنه الله والصنم المنيع موكل به مارد يقال له عتريس بن إدريس بن إبليس وله عشيرة عظيمة وقبيلة جسيمة ونحن فى غزوهم وجهادهم وقد اشتات بلية القوم وتعاظم أمر الهضام وكفر بالله واتخذ من دون الله إلها يسمونه المنيع وجعل له جنة ونار وجعل له زبانية وسماهم الغلاظ الشداد وجعل له ملائكة وسماهم البررة الكرام وجعل له فى جنته الأشجار والأنهار والأطيار وجعل فيها المخدرات المنعمات وسماهم الحور العين وجعل لها عرشا وكرسيا وله شياطين من العفاريت الطيارين وسماهم الملائكة المقربين وأنت رسول الله لم يبلغك شىء من ذلك كله وقد اشتد تمرد القوم وطغيانهم وكفرانهم لرب العالمين .

قال الراوى فلما سمع رسول الله ﷺ من عرقطة اشتد به الغضب حتى عاد يضطرب كالسفينة فى الريح العاصف وسجد على الأرض طويلا ثم رفع رأسه وقد سكن ما به من غيظ ولمع النور بين عينيه ﷺ حتى لحق عنان السماء ثم أقبل على عرقطة وقال له انصرف شكر الله سعيك وأحسن إليك وأنا أبعث إليهم رسولا وهو حنيق ونقمتى على أعدائى فقال عرقطة يا رسول الله إذا بعثت للقوم رجالا من الإنس أبادوهم وقتلوهم فإن عساكر الإنس لن يطيقوا قتال الجن ومردتهم ولن يبلغك ما تريد إلا الفارس الصنديد والبطل الشديد قالع الحلقة والقصر المشيد ومبيد الانس والجن فى البحر العميق مفرق الكتائب ومظهر العجائب والغرائب صاحب الحسام القاضب والغمام الساكب ابن عمك أمير المؤمنين على ابن أبى طالب ثم غاب عرقطة عن أعين الناس فنظروا إلى رسول الله ﷺ وقد تغير لونه وظهر غيظه واحمرت عيناه وتقوس حاجباه فعم ذلك على المسلمين وجلسوا حوله ينظرون إلى الأرض ويحدقون إلى الامام على كرم الله وجهه ويشيرونه عما نزل برسول الله ﷺ والامام على لا يتكلم ولم يرد عليهم (قال الراوى) فبينما

الناس فى ذلك وإذا بجبريل عليه السلام قد نزل من عند رب العالمين فوثب له النبى ﷺ قائما على قدميه فرحا مسروراً وهو ينادى لبيك لبيك اللهم إنا نسألك الفرج منك يا مفرج كل كرب ومزيل كل هم وغم وخرج النبى من المسجد وقال لا يقم أحد من مكانه حتى أعود إليكم وخرج فمكث قليلاثم رجع إلى أصحابه وهم جلوس كل واحد منهم فى مقامه وقد تهلل وجهه ﷺ فرحا وسروراً وجعل النور يشرق من بين عينيه ﷺ فوثب الناس إليه فيما يسألونه عن أمره (قال الراوى) فقال النبى ﷺ أجلسوا بارك الله فيكم فجلسوا جميعاً وصمتوا فقال النبى ﷺ أين سلمان وعمار فأجابه بالتلبية ها نحن بين يديك قل ما شئت يا رسول الله فإنا لكلامك سامعون ولأمرك مطيعون فقال لهم النبى ﷺ سيروا فى شوارع المدينة ونادوا (الصلاه جامعة بمسجد المختار لله الواحد القهار) فلما سمع الصحابة منه ذلك النداء جعلوا يهرعون اليه من كل جانب ومكان حتى امتلأ المسجد بهم ثم صعد النبى ﷺ الى المنبر وخطب خطبة بليغة فشوقنى الى الجنــة ونعيمها وحذر من النار وجحيمها (قال الراوى) قال النبى ﷺ معاشر المسلمين : ان الله جلا وعلا تقدست أسماؤه ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا إله غيره بعد رفع السماء بلا عمد وأرسى الجبال بلا وتد وزين السماء بالنجوم الزاهرات والأفلاك الدائرات وأجرى فيها الشمس والقمر آيات لأولى الألباب وبسط الأرضين بحكمة على تيار الماء وثبتها بالجبال الراسيات وأضحك تلوين البقاع الجامدات بفيض دموع السحاب المسخرات وثنت الرياح العاصفات ومخاليب الطيور الصافنات وقوى قبة الجبال الراسيات تلاطم أمواج البحار الزاخرات وعلق أستار وأوراق الأغصان الناضرات (قال الراوى) ثم قال النبى ﷺ أيها المسلمون : أنا بشر مثلكم آكل مما تأكلون وأشرب مما تشربون ولا أعلم ما كان ولا يكون ولا يحيط بذلك علما إلا من يقول للشىء كن فيكون ثم بعد ذلك أعلمكم أنه قد وفد على عرفطة من إخوانكم فى الدين وهو من الجن المؤمنين وقد أخبرنا عن اللعين الملك الهضام بن الحجاف بن عوف بن غانم الباهلى لعنه الله قد اتخذ له صنما وسماه المنيع وصنع له جنة وناراً وملائكة وزبانية فيدخل من أطاعه وأطاع صنمه

فى جنته ويعذب بناره من عصاه وعصى صنعه وقد غره حكم إبليس اللعين واستدرجه وآهاله فلما سمعت ذلك كبر على وعظم لدى ولا خفف عنى ذلك الا حبيبى جبريل وقد أتانى وأخبرنى عن ربى عز وجل وهو يقول يا محمد الله يقرئك السلام ويخصك بالتحيـــة والاكـــرام ويقول لك أنى قد علمت بما فى نفسك وما قد نزل بك وأنى مبشرك أن دمار القوم ودمار صنمهم على يد رجل بجنة الله والملائكة وهو سيف نقمتك وباب مدينتك التى ماسجد لصـــنما قط وهو زوج البتول والمتولى لدعوتك وحامل رايتك الفتى الورى مفرق الكتائب ومظهر العجائب والغرائب الحسام القاضب والليث المحارب والغيث الساكب لبنى غالب أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وهـذه أشارة من عند ربى الاعلى ثم أن النبى ﷺ كشف عويره فإذا فيها عريرة سوداء مكتوب فيها بقلم مقدر لم يكتبها كاتب فلما نشرها ﷺ ظهر لنا نور له شعاع عظيم فقال الصحابة يارسول أخبرنا بما فيها مكتوب بمشيئة الجبار أمر من الطالب الغالب إلى أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ففرح المسلمون فرحا وقالوا لقد فاز أمر الجبار وقرنى برسول الله ﷺ وعلى الله الاختيار أحزن بذلك الكفار ثم أن الرسول ﷺ أقبل على أصحابه وقال لهم معاشر المسلمين هل فيـــكم من وصل إلى ديار اللعين الهضام بن الجحـــاف فيخبرنا بما شاهد من أبطاله وأعوانه وكفره وطغيانه فقام عند ذلك رجل من المسلمين يقال له عبد الله بن أنير فقال أنا أخشى أن يداخل قلبك الوهم والهم عن وصفى فقال له رسول الله ﷺ قل فانا لانخاف مع الله أحد فقال يارسول الله بأبى أنت وأمى أن خبره عظيم أن الهضام ابن الجحاف لما نظر إلى أصنام العرب التى يعبدونها من دون الله عز وجل وجعل فى سماء القبة حجرا من المغناطيس وفى أسفل القبة حجرا آخر وعن يمـــين القبة القبة حجرا وعن يسارها حجرا يوازن بعضها بعضا وأوقف الصـــنم فى وسطها فى الهـــواء بحدية كل حجر يفوته وذلك الصنم مرصـــع بالجواهر واليواقيت النفسية وكساه بالحـــرير الملون ونصب له كرسيا مرتفعا هيـــكلا بالدر والجواهر

وشدة بقضبان الذهب الأحمر والفضة البيضاء فلما كان من العاج الأبيض كانت كواكبه من الذهب وما كان من الأبنـــوس الأسود كانت كواكبه من الفضة البيضاء جعل لتلك القبة بابا عظيما من الذهب الأحمر وعلق على باب القبة سترا مزركشا وعلق داخل القبة قناديل من اللؤلؤ بسلاسل من ذهب توقد بطيب الأذهان وبنى من خارج القبة بيتا عظيما مانعا بالعلو وجعل سقفها من خشب الصندل وفصل أرضها وحائطها بالرخام الملون وجعل من ورائها بيتا آخر مثل الأول وما زال كذلك حتى جعلها سبعة أبيات يلي بعضها بعضا ولها سبعة أبواب منها ماهو من العاج ومنها الأبنوس وغير ذلك وقد ركب فى تلك البيوت جامعات من البلور المختلف الألوان فإذا طلعت الشمس على تلك الكواكب أشرفت على تلك البيوت والقبة وجعل على كل باب حاجبا موكلا به فإذا ورد اليه وارد من بعض الملوك أوقفه الحاجب الأول والثانى والثالث وكذلك حتى ينتهى إلى الباب السابع وكلما جاوز بابا نظر إلى غيره فإذا عظم من الذى قبله فإذا وصل إلى المكان الذى فيه عدو الله الهضام وجده جالسا على سريره وقد أحدقت به جنوده والحجاب فإذا وقعت بين يديه أمره الهضام بقلع ثيابه فيقلعها ويلبسونه ثيابا غيرها ويقولون له أن ثيابك هذه عصيت فيها فهى ألا تصلح أن تدخل على الاله المنيع وأنت تطلب الغفران ثم يدفع له خاتما من الحديد ويقولون أن الخاتم الذى تريده عفوه عنك فإذا ثبت فى يدك فقد عفا عنك وقبل توبتك ثم بعد ذلك يأمر الهضام بفتح القبة لذلك الشخص فإذا دخل على الصنم وشاء فى نفسه شيئا فيظن أن الصنم قد قربه اليـــه فيقولون له أشد يدك على الخاتم ولا تخلعه فيغضب عليه الذى أنت طالب رضاه وكلما قرب الصنم جذبته السلسلة ألى ورائه قال فإذا كان لا ينقلع الخاتم من يده يأمرونه بالسجود فيخر ساجدا ولم يزل كذلك حتى يهتف به من جوف الصنم الشيطان الموكل به ويأمره بالقيام فيقوم فيقذر ذلك الشخص مما أمكنه من الذهب والفضة أو من جواهر أو جوار أو عبيد على قد ما تصل اليه فوقه وقد استولى

اللعين الهضام بهذه الحيلة على أموال الناس فلما فرغ من ذلك خرج إلى فلاة عظيمة ملء الأرض فجمع الصناع وأمر بحفر حفرة طويلة طولها ٤٠٠ ذراع وعرضها مثل طولها ثم جعل لها أساسا وبناها بالصخور العظام وأوقف عليها ألف عبد غلاظ وأفرد لها ألف بعير يحملونها الأحطاب والاخشاب وألف عبد يجمعون لهم ذلك ويحملونه إلى الحفرة وألف يضرمون النار فى الليل والنهار وسمى تلك الحفرة جهنم حتى إذا مر بهم طائرا احترق من شدة لهيبها وبنى لها درجات عاليات ولما فرغ من ذلك بنى دائرة واسعة طولها عشرون فرسخاً وعرضها مثل ذلك وجعل بطنها المسك والزعفران وأحجارها من جميع الالوان مثل الاحمر والاصفر والابيض والاخضر والازرق وغرس فيها الاشجار وجمع فيها كامل الاوصاف والاطيار وبنى فى وسطها دكة بيضاء من الرخام واتخذ فيها قصور وجعل سقوفها من الذهب الاحمر والفضة البيضاء وجعل فيها مجالس وقبابا زاهرات وفرش أرضها من العقيق الاحمر والسندس الاخضر وجعل فيها جوارى أبكار كأنهن الاقمار ونظم ذوائبهن بالدر والياقوت ووكل بأبواب تلك المقاصير غلمانا مرادا جردا وسماهم الملائكة عليهم حلل من أنواع الحرير وعلى رؤوسهم عمائم خضر وجمع فى هذه المقاصير من الفواكه الصيفية والشتوية من أطيب الاثمار والاطيار تغرد على الاغصان بأنواع اللغات وجعل فيها أصناف الطيب المعجون بماء الورد من حول تلك المقاصير وفيها الخمر مسكوب والعسل مصبوب واللبن محلوب يصب فى قنوات فمن أطاع هذا الصنم أدخله هذه الجنة ولذذ بنعيمها ومن عصاه أدخله هذه النار يتلظى بجحيمها وقد تزايد أمره وشاع بين العرب بشجاعته وعظم شر حتى لقبوه بمرارة الموت قال الراوى فلما سمع رسول الله ﷺ ذلك قال ويا ابن أنيس لقد حدثتنى عن أمر عظيم لم أسمع مثله قط وأين أرضه وبلاده ومستقره قال يا رسول الله بأطراف اليمن مائلا إلى العمران فى وادى يقال له وادى القمر فنادى رسول الله ﷺ أين أمير المؤمنين وحامى حوزة الدين ومفرق الكتائب ومظهر العجائب ومبدى الغرائب الليث المحارب والغيث الساكب والحسام القاضب

حيث بني غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب فلما سمع نداء رسول الله ﷺ على بن أبى طالب وثب قائماً على قدميه وأنشد وجعل يقول شعره :

لبيك من داع ومن منادى لبيك نور الله فى البلاد
لبيك من داع إلى الرشاد فرجت عنى كربة الفؤاد
قل ما تشاء يا أكرم العباد أفديك بالاهلين والأولاد

(قال الراوى) فلما سمع رسول الله ﷺ تبسم ضاحكا من قول الامام على كرم الله وجهه ورضى عنه ثم أقبل الامام على النبي ﷺ ووقف بين يديه فضمه النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقبله بين عينيه وقال معاشر المسلمين هذا على بن عمى ووارث على وزوج ابنتى وحامل رايتى وسيف نقمتى من أساء اليه أساء الى ومن أحسن اليه أحسن إلى ومن أحبه فقد أحبنى ومن أبغضه فقد أبغضنى اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ثم قال عليه الصلاة والسلام أسمعت ماوصفه عبدالله بن أنيس الجهنى عن عدوا الله هضام بن الجحاف وتجبره وكفره وجحوده قال نعم يارسول الله فقال رسول الله ياأبا الحسين إن الله أمرنى أن أخبرك بهذا الخبر وقد وعدنى ربى بنصرك وحفظك ورجوعك الى سالما فماذا تقول له وأمر لك عصابة من المسلمين وجماعة من المؤمنين تسير فيهم إلى عدو الله الكافر وقد بلغنى أنه تكاسر من الورود وان الله اكثر منهم مدادا وهو القادر على أن لا يبقى منهم أحد .

(قال الراوى) فأطرق الامام على رأسه مليا ثم رفع رأسه الى النبي ونظر ولم يتكلم ثم عاد إلى اطراقه ساعة ثم رفع رأسه ولم يتكلم ثم عاودها ثاثا فعظم ذلك على النبي وقد تبين فى ذلك الوقت فى وجوه المنافقين وقال بعضهم لبعض أن على بن أبى طالب كره التوجه الى الهضام ويحق له ذلك ومن يقدر على وصف عبدالله وتكلم المؤمنون على قد ماوصل اليهم وقال بعضهم لاشك أنه يطلب جماعه يشير بهم الى عدو الله ولكنه استحيا من رسول الله أن يذكر له ذلك وقال بعضهم ان عليا كره الخروج من غير جذع وكثرت الاقوال بين الناس وعظم ذلك على النبي فقال ياأبا الحسن ماالسكوت والتوانى برد الجواب ماأملت منك الا أنك أمر مبادر الى ما أخبرتك

مسارع فهل لك من حاجة فتقضى أو كلمة فتمضى فلما سمع ذلك الامام على كرم الله وجهه من رسول الله وتبسم ضاحكا وقال يارسول الله حاجتى تقضيها كانه ماكان قال نعم أى والذى بعثنى بالحق بشيرا ونذيرا أنى أقضيها ان وجدت الى قضائها سبيلا فقال الامام على رضى الله عنه ألم تأتك البشرى من عند المولى الكريم رب العالمين أن ترسلنى لهذا الأمر وضمن لك سلامتى وحفظ رعايتى فقال له النبى نعم ياأبا الحسن فقال الامام على كرم الله وجهه إذا كان معى من يعصمنى ويحلمنى لاحاجة لى بأحد غيره ولاتبعث لهذا الأمر أحد سواى فحسبى يانبى الله نصر الله وهو خير الناصرين وأسأل الله جلب المسرة الى فؤادك .

فلما سمع ذلك رسول الله تهلل وجهه فرحا مسرورا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباالحسن كفاك الله شأنيك وأهلك معاديك ثم كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون جميعا عند ذلك فرحين بما كشف الله من الهم والكرب وارغام انف المنافقين أعداء الله قال عبد الله بن أبى سلول لعنه الله وهو رأس المنافقين بالمدينة هذه أعظم فرحة وحق اللات والعزى لتحرقن عظام على بن أبى طالب بنار الهضام ولو خرج محمد اليه بجميع أصحابه ماقدروا عليه ترون على بن أبى طالب بعد هذا اليوم ان هو خرج اليه ثم أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا بدواة وقرطاس وقلم ودفعها الى الامام على بن أبى طالب وقال له اكتب يا أبى الحسن الى عدو الله الهضام كتاب بالتحذير فكتب الامام على كتابا يقول فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من رسول الله محمد بن عبدالله بن عبد المطلب ابن عبدمناف داعى الورى الى الانصاف وهاديهم الى طريق الخير والغفران الى الهضام بن الحجاف الباهلى أما بعد لقد اتصل الينا ما أنت عليه من التكبر والتجبر والعتو على الله عز وجل وماصنعته من جنة ونار ياويلك والويل ثم الويل لك تتخذ الحديد والجنادل أربابا من الله عز وجل أرأيت ما صنعته من نارك لو أنك أمرت عبيدك الذين ينقلون الحطب والاخشاب أن يسكتوا عنها يوما واحد لسكتى لهيبها وانقطع وهجها وخمد حرها ياويلك

والويل لقومك بل لو حملوا اليها الماء وسكبوه فيها لطفئت حرارتها وذهبت جمرتها
فاين نارك من نار وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين لايخمد حرها ولا يبرد
لهيبها وهى لاتقود بحطب ولابخشب بل تقود بسخط الله عز وجل فلا تخمد
فى ليل ولا فى نهار عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم
ويفعلون ما يؤمرون وأعلم أن نارك التى توقدها انما هى جزء منها وهى اثنان
وسبعون جزء وأما جنة الخلد التى وعد المتقين ففيها ما تشته الأنفس وتلذ الأعين
لايفنى نعيمها ولاينقص ثمرها ولايصفر ورقها والمؤمنين فيها متنعمون فى جوار
رب العالمين وعلى الأرائك متكئون وأما جنتك التى أحدثها فلو أمرت بمنع الماء
عنها لجفت أغصانها وفسد ثمرها فاترك ماأنت عليه من المكر ياويلك واعلم انك
ميت ومبعوث ومسئول عن فعلك وما انت عليه وتكبرك على خالقك ورازقك ولا
تنفعك نارك ولا جنتك فقل قولا عدلا لا إله إلا الله محمد رسول الله واشهد لى
بالرسالة تكن من الفائزين والصدقين فان ابيت رميتك بسيف قاطع وبطل مانع
قال الراوى . ثم ان الامام عليا كرم الله وجهه قرأ الكتاب على النبى ﷺ فاخذ
النبى الكتاب بيده الكريمة وطواه بعد أن ختمه بخاتمه الشريف ثم قال ياأباالحسن
خذ معك من المسلمين رجلا فاذا قربت من ديار عدو الله فقدمه امامك رسولا
بهذا الكتاب فان اجابه الى ما دعوناه اليه وآمن بالله وصدق برسالتى فكف يدك
فان الله حليم لايعجل بالعقوبة على من عصاه وان ابى هو وعصى فانظر لنفسك
امرك واحذر من الحصون فى مسيرك وتوكل على الله وقل لاحول ولاقوة الا بالله العلى
العظيم ثم اقبل النبى ﷺ على أصحابه وقال لهم من يمضى برسالتى مع ابن عمى
وانا اضمن له الجنة ولا يكون الا عارفا بديار القوم فعند ذلك نهض جميل
قائما على قدميه وكان جميل رجلا مشهورا لأنه كان قريب عهد الاسلام وكان
لايخفى عليه شىء من مياه العرب ولا من منازلهم فدفع له النبى صلى الله عليه وسلم
الكتاب وقال سر ياابن كثير قال الراوى ثم قال النبى ﷺ اخرج مع ابن عمى
على بن ابى طالب رضى الله عنه فعند ذلك قال ابن كثير يارسول الله دعنى
أتقدم امام ابن عمك فانى لا اطيق المسير معه وانى ان شاء الله تعالى اسبقه الى ديار

دو الله الهضام وأسير اليه راجعا برد الجواب والأقيه وأسرع له الخطاب فقال
النبي ﷺ ياجميل أصلح الله شأنك فقال نعم يارسول الله ثم أتى إلى داره وأصلح
شأنه وشدد راحلته وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وودع من كان حاضرا
من المسلمين فقال النبي ﷺ سر ياجميل وقل لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم
ثم أن الجميل ركب على ناقته وخرج من المدينة الى عدو الله الهضام هذا
ما كان من حديث جميل وأما ما كان من حديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب
كرم الله وجهه فإنه أقام فى المدينة بقية ذلك اليوم فلما دخل المساء أقبل إلى النبي
وحدثه بخبر الذى مضى ثم قال النبي ﷺ ياأبا الحسن أيها اليك يخرج على مطيتك
أم على جوادك بل المطية أصلح فإنها تحمل الزاد وتصبر على مشقة السير ، وقد
جعلت الأمر اليك فقال له الامام أنا موقن بحفظ الله ومتوكل على الله ، ولو
جعلت الأمر إلى فإنى لأسير من عندك إلا رجلا فقال له النبي ﷺ ياأبا الحسن
فكيف يكون لك طاقة بحمل الزاد فقال له الامام على رضى الله عنه وحق الذى
اختارك واصطفاك لازال صائما حتى يردنى الله اليك سالما .

قال الراوى فلما سمع النبي ﷺ ذلك الكلام من الامام على كرم الله وجهه
تغرغرت عيناه بالدموع ثم قال اللهم لاتفجعنى بعقدة ولا تحزنى من بعده اللهم أنه
وديعتى اليك فاحفظه حتى ترده سالما يامن لاتخيب عنده ودائع ثم أن الامام
عليا رضى الله عنه انصرف إلى منزله وبات الليلة يتحدث مع أولاده فلما أصبح
الصباح قام الامام على رضى الله عنه يتوضـــأ وأفرغ آلة حربه وتحزم بمنطقه
وتنكب بجحفته وضم أولاده إلى صدره وجعل يقبل هذا مرة وهذا مرة ثم أقبل
على فاطمة الزهراء رضى الله عنها وقبلها بين عينيها ثم خرج إلى المسجـــد وصلى
مع النبي ﷺ صلاة الصبح ثم قال يارســـول الله منك القول ومنى السمع
والطاعة أتأذن لى بالخروج فقال له النبي ﷺ لله الأمر والتدبير من قبل ومن بعد
فإذا عزمت فتوكل على الله ثم نهض رســـول الله ﷺ قائما على قدميـــه ونهض
الناس معـــه ولم يبق أحد إلا خرج مع النبي وهو يوصى الامام عليا كرم الله
وجهه ويحدثه بماجرى به فى طريقه والناس يتعجبون من سير الامام على وحده

فلما بعـــد عن المدينة وقف النبي ﷺ وودع الامام على ودعا للامام بدعوات تحجب عنه خلق الأرض والسموات ثم أمر الامام بالمسير وقال ، سر بارك الله فيك الله خليفتى عليك (قال الراوى) ثم أن النبي رجع وأمر الناس بالرجوع فرجع الناس وسار الامام طالبا بلاد اللعين الهضام وحيد بنفسه ليس معه من يؤانسه إلا الله وكان المنافقون قد خرجوا جميعا عند الوداع وهم يقولون ماترون هذه على بن أبى طالب إذ هو تعرض لمرارة الموت لم يبق لهذه الديار يعود وهم فرحون مسرورون يقولون قد فقد على بن أبى طالب حين صـــار لمرارة الموت والنبي والصحابة يدعون للامام بالنصر والتأييد على أعداؤه فهذا ما كان من أمر المنافقين والنبى ﷺ (قال الراوى) وأما ما كان من أمر الامام على كرم الله وجهه فإنه سار واستقام به المسير وأسلم نفسه لله عز وجل وأنشد يقول

أسير وحدى إلى ماقد أراجيه	إذ كل ماقدر الله من أمر ألاقيه
لا نكره الموت فى بدر ولاحضر	أن يدن منك فكن أنت مدانيه
أسير مستسلما لله معتمدا	عليه فى كل أحوالى أناجيه
به الورد ومالى عنه عن عوض	جـــل الاله فإنى من محبيــــه
مالى سواه ومالى عنه مصطبر	وكيف عبد يرجى من مراجيه
صلى الإله على طه وعترة	مادام طير على غصن يناجيه

(قال الراوى) فبنما الامام سائر وقد غاب عن المدينة وإذا بصائح من وراء ينادى ياأبا الحسن سألتك بالله ورسوله إن تقف لى حتى الحقك فوقف الامام والتفت ورائه وإذا برجل طويل السواعد عريض المناكب وهو يسرع فى خطاته ويرول فى مشيه فتأمله الامام على رضى الله عنه فإذا هو رجل من أشرار المنافقين يقال له ورقة بنى خضيب من أقارب ابن أبى سلول المنافق لعنه الله وكان ذلك الملعون يتجسس الأخبار لعدو الله الهضام بن الجحاف ويظهر الاسلام ويكتم النفاق ويريد بذلك أنه يظهر برســـول الله ﷺ وابن عمه على فلم يجد لذلك سبيلا فلما نظر الامام خرج فى ذلك اليـــوم وحيدا فريدا أقبل ذلك الرجل على قومه المنافقين فرحا مسرورا وقال لهم الآن قد بلغت مرادى وبلغت أمنيتى

وهاأنا أريد أن أرافق على بن أبى طالب الى أن أجد منه فرصة أو غفلة عند
قومه أو سيرة فاقطع رأسه وأمضى بها الى الملك الهضام لانال عنده المنزلة العليا
وعند الاله لمنيع واتقرب اليهم وأصير عندهم صاحب قدر وأشفى قلبي من العلل
فقال اخوته المنافقين نشكر لك اللات العزى وفرحوا بذلك فرحا شديدا لما
يعلمون من شجاعته وقوة قلبه فما منهم أحد الا وقد وعده بصلته وجعل له جعلان
وصل الى ذلك .(قال الراوى)فعند ذلك خرج ورقة من خضيب ولحق أمير المؤمنين
على بن أبى طالب رضى الله عنه معارضا له سالكا طريقا قال فالتفت الامام اليه وقال
من انت ومن اين اتيت والى اين تريد فقال ورقة اتيت اريد مرافقتك
ومصاحبتك ومساعدتك على اعدائك لانى مبتهج بمحبتك ومجتهد فى خدمتك
عند ذلك قال امير المؤمنين كرم الله وجهه من احبنا لقى بحبنا نعيما ومن بغضنا
لقى بغضنا جحيم وكان الله بما قضى عليما ارجع باورقة لا انس لى بك والله اعلم
بما اضمرت فجزاك عليه يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال ورقة ياابا الحسن
انى ما اتيت حتى استأذنت رسول الله ﷺ فى المرافقة والمسير معك والمساعدة
لك على اعدائك ثم انه الح عليه بالسؤال بالمخادعة والحيلة ومع ذلك لم يخف عن
الامام مااضمره اللعين وماهو طالبه فاخذ حذرا منه وولى عنه الى ناحية من
الطريق وسمح له بالمسير معه .
(قال الراوى) سار الامام متجانبا ثم متباعدا عنه وسار عدوا الله الى
جانبه ولم يبدله شيئا وكتم امره فقال له الامام ان كان ولابد من مصاحبتى فلا
تسألنى عن شيء حتى يحدث لك منه ذكرا فاجابه ورقة الى ذلك وقال بابى انت
وامى وكيف أتعرض لك فى شيء وأنت من بيت النبوة ومعدن الرسالة واقتبس
منك ومن علمك ولا انازعك فى صنعك ولاامانعك فى امرك وانما انامساعدك
فى سفرك ومعاونتك على اعدائك فعند ذلك خلى الامام سبيله وجعل يقول .

من صاحب الليث يرجوا منه خدعته ... يسقى من اظافاره كاس الزى حرما
من يشرب السم لايامن عواقبه ... لوكان يعلم عقبى السم لامتنعا
من ضمر الشر ياتى نحو مجلا ... مسارعا قاصدا قد جاء متعبا

(قال الراوى) فلما سمع ورقة هذه الأبيات من الامام لم يرجع عما أضمره بل أنه أزداد غيظا على غيظه ولم يزالا سائرين والامام على يقول حسبي الله ونعم الوكيل حتى وجب عليهما فلم يجد الامام ماء يتوضأ منه فلما قرب العصر فاشرف الامام على رجل واقف على بير وقد ملا سقيه والى جانبه مائدة منصريه وعليها صحف مملوءة بالطعام والعيش فلما نظر ذلك الرجل الامام وورقة قال هلما الى الطعام الفاخرة والماء البارد بلا ثمن ولا جزاء فاسرع اليه الامام ولم يمهله حتى قبض على أطرافه وجلديه الارض وجلس على صدره وحز رأسه ثم عمد الى الماء فاراقه ثم حفر حفرة وجعل فيها الطعام ورد عليه التراب حتى غيبه وسار كانه لم ينبه شيئا فقال له ورقة يا ابا الحسن قد تجارأت على فعلك واسرفت فى صنعك وظلمت فى حكمك بما فعلت بهذا الرجل الذى يبرد الماء لعابر هذا الطريق وينصب المائدة للجيعان من غير ثمن ولا جزاء وتقدمت اليه وذبحته والى طعامه فدفنته والى مائه فارقته وتركتنا نلتهب عطشا فوالله لقد تجارأت فى فعلك وأسرفت فى سبيلك فقال له الامام ألم أقل لك لا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا ارجع فانك لن تسطيع معى صبرا (قال الراوى) فازداد العين كفرا وامتلا غيظا وقال فى نفسه كيف أرجع أدع ابن أبي طالب وحق اللات والعزى لا ارجع حتى اقطع رأسه وامضى بها الى الملك الهضام وابرد قلبي وأشفى غليلي ثم اقبل على الامام بمكره وخداعه وقال ياابا الحسن انتم اهل الجود والكرم والاحسان والعفو والامتنان ولست اعود الى شىء تكره فسمح له الامام بالسير معه فسار إلى وقت العصر ثان يوم فاشرف الامام على حوض مملوءة وبجانبه مسجد قد طرح النخل جدرانه واذا بشيخ كبير جالس الى جانبه وعنده جارية حسناء وعليها اثواب الزينة وثياب مزعفرة فلما وصل اليها الامام على منطقته ووضع سلاح واخرج زنادا كان معه وقدح منه نارا واطلقها فى المسجد فاحترق سريعا وتساقطت حيطانه ثم انه حفر حفرة وعمد الى الصبية فجعلها فيها ورجها حتى ماتت ثم عمد الى الشيخ فقطع يديه ورجليه وتركه

مخضبا بدمائه ثم عمد إلى الماء فتوضأ وصلى وانصرف كأنه لم يفعل شيئا .

(قال الراوى) فلما رأى ذلك ورقة نار وامتلأ غيظا وحنقا على الإمام لكنه خشى من صولته وهجومه عليه فقال له وهو يلين له الكلام يا ابن أبى طالب والله ما أمرك الله ولا رسوله ولا نطق بذلك القرآن عمدت إلى المسجد فأحرقته وهدمته والآن عاد خرابا وعمدت إلى الشيخ فقطعت يده ورجليه من غير ذنب ولا جناية سبقت منه إليك ثم عمدت إلى صبية من أحسن الناس وجها فرجمتها حتى ماتت وهى كانت تصلح لمثلك والله لا نصرت وهذه الفعال فعالك فتبسم الإمام وقال والله لولا أنى أريد أن أظهر لك بيان ما رأيته وإلا كنت عجلت روحك ولا كذبت على وعارضتنى فى شىء لا تعرفه ولا لك عليه طاقة ولكن أسامحك وامض إلى حال سبيلك ولا تتعرض لى فأهلكك وتدبر امرك وانظر إلى ما أنت له صانع وسيظهر لك ياويلك رأيت وعاينت وإن سألت عنه رسول الله ﷺ أخبرك به فارجع عنى واستغنم السلامة وأكرم الناس من إذا قد عفا وهذه الثانية صحبتى وعدت إلى الثالثة جازيتك بفعلك يا ويلك ألم أقل لك ما قاله العبد الصالح لموسى ابن عمران أنك لن تستطيع معى صبرا فقال له ياعلى اعف عما قلت ولست أعود إلى ما تكرهه ودخل على الامام بمكره وخداعه وهو يظن أن يظفر به فسمح له الامام بالمسير معه ولم يزالا سائرين إلى غروب الشمس وهم على غير طريق فبينما هم سائرون وإذا هم بواد فيه عين ماء كبيرة كثيرة المياه وبجانبها حظيرة واسعة وعلى بابها عبد عظيم الخلقة عريض المنكبين مفتول الساعدين فلما نظرهما قال الامام اعدلوا إلى هذا المنزل الرحيب الطيب الخصيب فقال ورقة عند ذلك اعدل بنا يا أبا الحسن إلى هذا المنزل فقد ولى النهار وأقبل الليل فقال الامام سر ولا تتعرض لما ليس لك به علم فقال ورقة والله ما بك خوف من هذا الأسود حيث رأيته يطيل النظر إليك فلما سمع الامام ذلك تغير وجهه وقال لورقة ويلك أمثلى يفزع من أبيض أو أسود وأنا من أهل العلم والتأويل والدلالة والتفضيل ثم عطف الامام ناحية العبد فلما رآه العبد مقبلا إليه قام ورحب به وفتح له باب الحظيرة فدخل الامام ودخل الاسود فى نحوهما وأغلق باب الحظيرة فلما وصل

الامام إلى الحظيرة وإذا هو بجماجم مقطوعة وعظام مهشومة فوقف ينظر إلى ذلك ويتفكر ويتعجب وإذا هو بسبعين عظيمين قد خرجا من جانب الحظيرة وقصد أحد منهما إلى نحو الامام والآخر إلى ورقة فالسبع الذى وصل ورقة هدر وزمجر فلما عاين ذلك قصد الى نحو الامام وهو يرتعد كالسعفة فى مهب الريح واصطكت أسنانه واهتزت ركبتاه من شدة ما نزل به من الخوف والفزع وهو ينادى برفيع أصواته أدركنى ياأبا الحسن خالفتك فهلكت فبالله عليك ياأبا الحسن خلصنى مما أنا فيه ولا تؤاخذنى بسوء أفعالى فأنت من أهل الكرم والجود فتبسم الامام ضاحكا من مقالته وأما الامام فلم يعتن بالسبع الذى وصل اليه ولم يلتفت الى مبائته فلما قرب السبع من الامام صرخ صرخته المعروفة الهاشمية فتضعضع السبع من شدتها ووقف مكانه وخمدت قوته من صوت الامام وجعل ينادى أنا السيف المسلول أنا ابن عم الرسول أنا مفرق الكتائب أنا مظهر العجائب أنا الحسام القاضب حامل ذو الفقار انا البحر الساكب القاضب أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ثم وثب على السبع بقوته وضربه ضربة عظيمة فمات ثم حمل على ورقة فوثب عليه ونادى أنا الليث التمام أنا البطل المقدام أنا قاتل اللئام أنا مفرج الزحام فعند ذلك فر السبع داخل البيت عندما نظر ما حل بأخيه وجعل العبد يحد النظر الى الامام ويتعجب مما فعل فجرد صفيحة هندية وتقدم الى السبع يحرضه وهو فى شدة غيظه على قتل أخيه فحرضه على الامام فقال ورقة للأسود مهلا وقيت الردى الأسود الى ورقة يريد قتله قبل قتل الامام فقال ورقة للأسود مهلا وقيت وكيف شر العدى فإننى ممين لك على أمرك لعلى أقتله وآخذ رأسه الى الهضام لأنال المرتبة العليا والآن اختلطنا بعدو الملك الهضام فإن قتلناه فتكون لنا اليد العليا عند الملك الهضام وعند الاله الرفيع فعند ذلك فرح الأسود من مقالته ومال على الامام وورقة معه وقال يا ابن أبى طالب الى أين طالب فانظر الى نفسك وتدبر أمرك فلم يلتفت اليه الامام وهجم على السبع وضربه ضربة

ية بين عينيه فلما نظر الأسود ذاك انزهل وعلم أنه إن أقدم على الامام
ده فرمى صفيحته من يده ونادى ياابن أبي طالب أرفق على أسيرك وأحسن إلى
علم بك ولا يمكنك حتى شممت ذكرك من رفيقك أحسن إلى ياأبا الحسن أحسن
ليك فلما سمع ذلك منه الامام قال اعتزل حتى أفرغ من عدو الله وأعود اليك
ضى الله بحكمه ماهو قاض ثم حمل على الامام إلى ورقة وقال يارأس النفاق قد
رت ياعدو الله ما كنت له سائرا وما أنت عليه عازم وضامر فانظر الآن
سك وتدبر أمرك فقد آن أوان قتلك ثم نادى ورقة ياابن أبي طالب سألتك
محمد بن عمك إلا ما أبقيت على وأحسنت على بكرمك إلى فقال له بعد نفقك
كفرك ما أبقى عليك هيهات هيهات فلما أيقن اللعين بالهلاك قال ياابن أبي طالب
لايفارقك ولا يفارق ابن عمك فحدثني عما ظهر لك فى طريقك هذا من سوء
ك بما لا يرضاه الله ثم افعل ما بدا لك فإنى أشهد أنك وابن عمك ظالمان ساحران
ب الامام من مقاله ورقه غضبا شديدا وقال له ياعدو الله تبارك وتعالى قد
د بيننا وبين الظلم والعدوان وجعلنا من أهل الكرم والاحسان ويل لك ولقومك
أكشف لك ولقومك جميع ما رأيته فى طريقنا أما الرجل الذى قبلنا عليه
عنده الماء والطعام فإنه كان مسموما وإنما صنعه للناس حيلة فإذا أكل أحد الطعام
شرب من الماء هلك لوقته فيأخذ ما كان معه وقد أهلك بهذه الحيلة خلقا كثيرا
ما أتيته قتلته عمن قتل من الناس واهرقت الماء ودفنت الطعام لئلا يأكل منه
ير والوحوش فيهلكوا وأما الشيخ الذى أتيناه وعنده بالمسجد الجارية فإنها
ه وهو ينكحها للصادر والوارد فإذا نزل عنده سالك طريق عرضت عليه
ن أجابه ذلك كان أو يركه حتى ينام ويسرق منه جميع ما معه فلما قدمت عليه قطعت يديه
رجليه لسرقته ورجمت الجارية لزناها حتى ماتت وأحرقت المسجد وأما هذه الحظيرة
هذا الأسود والسبعان فيقتل بهما جميع من أتى اليه فى الحظيرة ويأخذ ما كان معه
أن الامام تقدم إلى ورقة وضربه بذى الفقا على رأسه فملقه نصفين ووصل إلى

الأرض وعجل الله روحه إلى النار فلما نظر الأسود إلى ذلك سار عقله ونادى يا ابن أبي طالب أمدد فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن ابن عمك محمد رسول الله وإن كنت فى لجج الضلالة شارج فلازلت لك منذ هذا اليوم إلا موليا فعند ذلك تبسم الامام على كرم الله وجهه وقال له خذ سلب عدو الله وامض حيث شئت مصاحبا للإسلام فقال يا أمير المؤمنين أنى لا أكون معك وبين يديك فقال لهم الامام هذا جبل بعيد لا يصل اليه كل ضامر سلول فقال الأسود هذا الوصف لا أجده إلا لك يا ابن عم الرسول ﷺ أنت زوج البتول وابن عم الرسول سيف الله الرسول ألا يا أمير المؤمنين سألتك بحق ابن عمك ألا أخبرتنى إلى أين تريد فقال له إنى أريد والله الهضام بن الجحاف وصنمه المنيع وحصنه الرفيع لأذيقه السم الفقيع فقال الاسود وقد تحول سواد وجهه إلى اصفرار لما سمع بذكر الهضام فقال له يا أمير المؤمنين لا تعرض نفسك للهلاك فطريق ماذكرته غير سالك فكيف تصل اليه وبينك وبينه سبعة قصور وفيها سبعة حصون وكلها مملوءة بالرجال والأبطال لا يطير عليهم طائر إلى ممنوعه عن الجواز حتى يستخبره ووصولك إلى صنمه أبعد من ذلك وأن له جنة ونار يدخل فى جنته من أطاعه ويدخل فى ناره من عصاه وأنا أخشى عليك مما أعده من الأهوال فقال الامام امض أنت إلى حال سبيلك ومعى ربى تعالى ينصرنى وهو معى أينما توجهت فهو حسبى الله ونعم الوكيل ثم قال له ما اسمك فقال له اسمى هولب فقال الامام اكتم أمرى ولا تبوح بسرى وامض إلى رسول الله ﷺ وجدد إسلامك على يديه فقال هولب يا سيدى هذا الذى ضمرت عليه .

(قال الراوى) فعند ذلك ودع أمير المؤمنين وسار إلى المدينة قاصدا النبى ﷺ وأمير المؤمنين سار إلى بلاد الهضام حتى ولى النهار وأقبل الليـــل فبعد غروب الشمس صلى المغرب والعشاء ثم سافر طول ليلته حتى لاح الفجر فصلى الصبح ثم صار وطاب له السير وقرب الله البعيد وسهل عليه كل صعب شديد (قال الراوى) حدثنا أمير المؤمنين رضى الله عنه قال كنت أرى الجبال الشاهقة أمامى فبينما أنا أتفكر فى الوصول اليها فـــا أدرى بنفسى إلا وأنا قد وصلت اليها وعولت

بحول الله وقوته ولا أدرى بتعب ولا ألم كل ذلك بحول الله سبحانه وتعالى
وبركة رسول الله ﷺ ثم أنشد وجعل يقول شعره

طالب المسير بنور الله اذ لمعا وبان مطلع ضوء الفجر اذا طلعا

(قال الراوى) وسار الامام رضى الله عنه يطوى المنازل ولا يعوج المناهل الى
ان وصل إلى أرض الثمن جعل يكن بالنهار ويمشى بالليل إلى أطراف البلاد وشرف
العمران حتى وصل الى وادى الظل وهو أول الأودية السبعة وهو واد معشب
ذو نعمة عظيمة كثيرة النبات والاشجار والمياه والظل المديد واختلاف الألوان
من الاطيار إذا فيه رعاة معهم أغنام ثم نظر إلى صدر الوادى فاذا هو بحصن حصين
يسمى حصن الوجيه وهو فى صدر الوادى يلوح كانه لؤلؤة له نور ساطع
براق لامع فلما نظر اليه الامام حمد الله تعالى وشكره وأثنى عليه على تيسير
المسير الذى قرب اليه البعيد وسهل كل صعب شديد .

(قال الراوى) ثم انه انحدر إلى ذلك الوادى واذا عارضه نهر ماء جار يلوح
ببياضه والخيل والانعام والابل وسائر المواشى مرعاة البر الآخر مما يلى ديار
القوم والرعاة مجتمعان ومعهم واحد بيده غابة يصفر بها وقد نظره القوم ويرتجزون
الاشعار فنزل الامام رضى الله عنه الى جانب النهر وقد نظره القوم فلم يخاطبهم
ثم انه حل منطقه وتوضا وصلى فلما رآه القوم يصلى بهتوا اليه ولم يدروا ما هو
صانع وقد دهشوا من ركوعه وسجوده وقيامه وقعوده فقطعوا ما كانوا فيه من
لهوهم ولعبهم وقال بعضهم لبعض كان هذا من بعض كهنة العرب فقال بعضهم
بل هو جنة وقد أكثر القوم القول فى الامام على وهو مشغول عنهم بما هو فيه
قال الراوى فلما فرغ من صلاته مال متكئا إلى جحفته فقال بعض القوم من أين انت
ايها الرجل فقال لهم من طين من حما مسنون خلقنى وقدرنى الذى يقول لشىء كن فيكون
فقال لهم الراعى الم أقل لكم انه مجنون قذفته جنيه الى المكان فترك الراعى قوله
واصحابه وقالوا ياهذا من اين اقبلت فقال له الامام من عند مولاى الذى كفانى بنعمته
وانعمنى بفضله وكرمه فقال الراعى أفقير مولاك ام غنى فقال الامام مولى المولى

علمه بحالى يكفى عن سؤالى مالك المشرق والمغرب والبر والبحر والسهل والوعر والأرض والسماء عليه توكلت وبه استعنت فقال الراعى صدقت وبالحق نطقت أقدم علينا أيها الرجل فالطريق أمامك هذه الصفة صفة إلهنا المنيع وهو فى احسانه بديع ثم انهم سروا بقوله سروا عظيما وفرحوا به فرحا شديدا وقالوا يافتى بلغت السلامة ومناك وأدركت هواك فان أحببت تأتى الينا فدونك والجسر عن يمينك واجعل راحتك عندنا لتسر بنا ونسر بك فقال لهم الامام من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وانى أن أكون على الطريق متبع النبى الناصح

(قال الراوى) فاعرض الاعيان عنه لأنهم لم يفهموا كلامه وقالوا له ان كلامك تخليطا وفى لسانك تفريطا أن كلامنا لك ضايع فأعرضوا عنه ورجعوا الى لعبهم وأقام الامام رضى الله عنه مكانه إلى أن وجب العصر فصلاه واذا بالاعيان فصارخوا وتصايحوا فقال لهم الامام معاشر القوم ماصراخكم فقالوا انظر الى قطيع الظبأ منحدرا من الجبل فلما نظر الامام إلى داره وونب قائما على قدميه ثم نزع سلاحه وقال لهم دونكم وحفظ أثوابى وسلاحى فقالوا أين تريد فقال أريد هذه الظباء لعلى أنا أنال ظبيا فلم يبقى أحدا منهم إلا وقد ضحك من قوله واستهزأ عليه ثم قال بعضهم لبعض ألم أقل لكم ان الرجل هائم على وجهه مخبوط فى عقله ثم تركهم الامام ومضى وهم ينظرون اليه ويظنون أنه لايبرح من مكانه لعظم خلقته وكبر بطنه ثم أن الامام قام حتى توارى عن أعين الرعاة وقد قطع الشعاب وهو يشب من ربوة الى ربوة ومن شجرة الى شجرة .

ثم أدركها وهى فى شدة جريها فقبض على اثنين منها واحدة بيمينه واخرى بيساره وأقبل كانه الريح الهبوب والظباء فى يده فلما رأى الدعاة الظباء فى يده وكبر الامام فى اعينهم ولم يزل الامام ساير حتى اتى سابها واستخرج سكينا وذبحهما وسلخهما واجاد غسلهما ثم حفر حفرة والتفت يمينا وشمالا يطلب حطبا فوجد شيئا من ذلك الحطب ورمى فى الحفرة حتى ملاها

ثم قدح زناد وخرج نارا اضربها فى ذلك الحطب فتأججت وصار جمرا فكشف الجمر عن الحصى واخذ الظبيين ورماهما فى الحفرة وردم عليهم النار من فوقهم هذا

الى اليه ويتعجبون من فعله وهابوا أن يتقدموا اليه وأمسكوا عن سؤاله فلما
الامام مما أراد غسل يديه ولبس ثيابه وقعد ينتظر غروب الشمس لأنه كان
فقال الرعاة يا فتى نحن ضيوفك الليلة لتطعمنا مما اقتنصت من الظباء فقال
انما يضاف من يكون قاطنا بالديار فقالوا له سألناك بإلهك الذى تعبد الا
فتنا باسمك الذى تعرف به لأننا رأينا منك ما لم نره من أحد غيرك فقال
سمى زيد وكانت أمه سمته زيد وسماه أبوه حيدر وسماه النبي عليا لما أمره الله
بتسميه بذلك الاسم الحسن فقالوا له يا فتى لقد أعطاك الله من الشجاعة ما لم
لأحد وبقى القوم يتحدثون فيما بينهم كذلك اذا وقعت صيحة من الوادى
مع الصياح فجعلت الرعاة تمرد أغنامها يرمون أن يجمعوها وأسرع بعضهم
بعض الى أهل الحصن والامام ينظر اليهم واذا بخيول مسرعة فظن الامام أن
الحصن فرحوا له فلم يكن من أمره الا أنه شد منطقته وقبض على جحفته
ت الخيل أفواجا فى الوادى وكانت ٤٠٠٠ حمية لأصحابهم طارق زفرت جميع
اة فى جميع خبايا الوادى يبكون ويتصارخون فقال الامام تبكون وليس
مال ولا نوال وانما المال لغيركم وأنتم مستأجرون فقالوا له يا فتى انما نبكى
أنفسنا لأن سيدنا الأعظم الهضام اذا أخذ له مال رجع بالقيمة علينا يقول
سلمتم مالى لأعدائى فلم يرضى بالقتل بل يحرقنا بناره وفعل ذلك بمن كان قبلنا
الرعاة وقد رأيت ما دهمنا كثرة الخيل .
فقالوا ولو كان خرج ملكنا الهضام والهه المنيع لما وصلوا اليهم هؤلاء
وام ولم يخلصوا الغنائم من أيديهم لأنهم قد عرفوا بالبلبلة وصاحبهم قد يتم
ب ولا تقتصر يده الا عن بلدة واحدة فقال الامام ما هذا البلد التى لا يضرب
فقالوا له مدينة يثرب مسكن عبد الله بها فارسا لا كالفرسان ويقال عنه أنه
ق الكتائب وهازم الجيوش ومفرق المواكب الحسام القاضب والليث الغالب
بحر الساكب ليس بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب (قال الراوى)
سمع الامام هذا الكلام تبسم ضاحكا قال ايها الراعى ما اسم هذا الرجل وما
ى يعبد وأين مسكنه فقد حدثنى بعجيب فقال يعرف بالمغضب وأما معبود فانه

صنعة من الجزع اليمانى وكانت العرب تأتى اليه والى صنمه فيخبرهم بجميع مايسألونه عنه فلما كان يوم من الأيام والناس محرطون به ويسألونه وقد شكوا الى ملكهم المغضب من على بن ابى طالب لما فعل بسادات العرب من القتل فقال لهم يافومى تأخروا عنى لأتقدم الى الاله العظيم واشاوره لكم فى هذا الغلام وفى المسير اليه فتأخروا عنه (قال الراوى) فعند ذلك تقدم الملك المغضب الى الهه وهو معتمد فيه حرب على بن أبى طالب وقال الهى قد سمعت ما ذكرته العرب من خبر هذا الغلام وشجاعته وشكو من فعالك وقد شكوا الى واليك فهل لك أن تشير لنا ونسير اليه ونقاتله وأنت أخبر منا بذلك فمهما أمرتنا به أمتثلنا (قال الراوى) فلما فرغ من كلامه دخل الشيطان فى جوف الصنم ونهى المغضب عن ذلك وهو يظن أن الكلام من الصنم ثم تملل وارتجز وأنشد يقول

دع ماقصدت من أرتكاب مهالك ومكارة مقرونة ببلاء
لاتطلبن لقا على أنه وحش الفلاه كذا لسفك دماء

قال الراوى فلما سمع المغضب والعرب كلام الصنم حزنوا من كلامه نخاف الملك وخافت العرب ورجعوا عن عبادته وقالوا الهك يذل ولا ينصر فهو اولى بان يدك ويحرق فتفرقوا عنه فعندذلك تسامعت العرب والقبائل بملكنا الهضام وصنمه المنيع الرفيع وقيامه على طول الأيام معلقا فى الهواء فعصفت العرب جميعهم اليه ورؤوا منه معجزات وكلهم بالدليل ووعدهم بهلاك على بن أبى طالب وأراد أن يكفيهم مؤوقتة فانصرفت وجوههم اليه واقبلوا بجمعهم عليه فعظم ذلك على المغضب واستنجد العربان وبذل لهم الأموال فجرم بينه وبين صاحبنا الهضام حربا شديد ماشهدت العربان مثله وأقاموا مدة شهور يقتتلون حتى فنى اكثر الجماعات وافترقو على ما هم عليه من العداوة والبغضاء. وبقى كل واحد بغير صاحبه كما ترى وكانت العربان سعت بينهم الصلح على أنهم يجتمعون جميعاويشيرون الى على ن ابى طالب ولم يكن قد أنفصل بينهم امرفتبسم الامام على ضاحكا من قوله ثم أطرق برأسه الى الارض ساعةوهومتفكرفى امر الحصون التى بينه وبين عدو الله الهضام فاجمع أمره على ملاقات المغضب وقومه واقبل

على الراعى المخاطب له وقال الى أين هؤلاء القوم سائرون فقال له يافتى أما هو فبيننا وبينه قدر فرسخين فى مضيق بين جبلين يجتمعون فى هذا المضيق ثم يقع الشراء فيها ليأخذ كل واحد مايخصه وينصرف الى محل سبيله أو يقصد كل واحد منهم مكانه ومحل نومه فقال الامام ياويلكم فما منع صاحب هذا الحصن عن لحاقهم فقالو له يافتى تجلى بالبركة أن فى كل حصن الف رجل ولو اجتمع كل من فى الحصون لكان هو كفئا للجميع فلما سمع الامام ذلك الراعى المخاطب له اخذ سيفه ودرقته وحزم وسطه بمنطقته ثم اتى الى جانب النهر وثبت عزمه ووثب فارتفع فى الهواء ارتفاعا عاليا فعبر بذلك الوثبة الى جانب النهر الآخر وكان عرض ذلك النهر أكثر من عشرين ذراعا ففزع الرعاه بما عاينوه وذهلت عقولهم خوفاً من الامام فقال لهم مهلا ياقوم ان ينالكم منى الا خير ان شاء الله تعالى فان غبت عنكم حتى جن الليل فاخرجوا ما فى الحظيرة وكارة فانتم احق به من النار فقالوا الى أين تريد فقال لهم أريد ان الحق القوم فعسى أن أنال منهم خير فظن الرعاة أنه يطلب منهم مساعدا او معاونا فقالوا له يافتى ان وقعت اعينهم عليك لم يسمعوا كلامك دون ان يسفكوا دمك وهم أربعة آلاف فارس وملكهم المغضب اعظم من الجميع واكثرهم أذية ومع ذلك ان وهبوك شيئا اخذ منك فلا تعرض نفسك للهلاك فقال لهم الامام لا صبر لى عن القوم لابد من اللحاق بهم فلم يكن غير قليل حتى لحق بالقوم ونظر الخيل والاسنة تلمع فقصر الامام فى مشيته حتى دخل القوم فى المضيق والسابعة معهم وليس لذلك المضيق منفذ غير هذا الذى دخلوا منه باجمعهم اتى الامام الى فم المضيق وكان وراء صخرة وجلس تحت درقته قابضا بيده على سيفه وهو يسمع حديث القوم فى بيعهم وشرائهم وقد غابت الشمس فصلى الامام المغرب فى مكانه وقال اللهم ارزقنى من عندك فطرا حلالا طيبا ولم يزل القوم كذلك الى ان دخل الليل وطلع القمر وامتلات الارض بنوره فبينما هو كذلك اذ سمع بعار غنمهم ورعاة ابل فاذا هو بشويهات وفرسين ومطيتين سرج وفارس معتقل برمحه ولامته فقال الامام يوشك ان هذا قسم هذا الفارس فكن الامام الى أن خرج

الفارس ومامعه من فم المضيق فلما قرب الامام لم يمهل عليه وضربه فوقع على
الأرض قطعتين فأخذ الامام جميع مامعه وتركه ورجع إلى مكانه فلم يكن الاهنيهات
وقد أقبل آخر على مثل وهو ينادي بصاحبه المعين قف حتى أجمع سهمي بسهمك
ونسير جميعا فلم يرد عليه فمااستتم كلامه الا وقد وافاه الأمام ولوى شمله الى
يمينه وقبض عليه ودق عنقه فى الأرض وضم الجواد الى الجواد والماشية وجر
الرجل الأول من الطريق الى خارج المضيق وجر صاحبه اليه ورجع الى مكانه
فلم يستقر فاذا هو بصهيل خيل ورعاة ابل وبمار غنم وثلاثة فوارس من وراء
تلك الأغنام والابل والخيل فتفكر الامام فيما يحتال به عليهم ساعة حتى خرجوا
من المضيق فتأسف الامام من خروجهم وخاف أن ينبههم قبل أن يفرغ منهم
فتقدم الامام الى أحدهم وضربه بالسيف على مراق بطنه فسقط الى الأرض
نصفين فالتفت اليه صاحباه فوثب الامام عند التفاتهما وضرب أحدهما فجندله
وأراد الثالث فسبقه الى داخل المضيق وهو صارخ مستغيث باصحابه ويقول
أدركونى فقد هلك أصحابكم وهلكتم جميعا فاطلبوا لانفسكم الخلاص فقالوا
باجمعهم ياويلك ماالذى دهاك فقال ياقوم انه بباب المضيق موت نازل وهو
لكل من خرج منكم قاتل فصاح به المغضب وقال ياويلك وساله عن حاله فاخبره
بما رأى وعاين من أمير المؤمنين فقال له أيها السيد رأيت من شجاعات
مزعجات لاتكون لبشر قط ولكنه سماوى الفعال فصاح به اللعين وقال لعل
أن يكون معه جيش كثير .

فقال يامولاى مامعه غيره وهو يسعى على اقدامه اذا وثب جاز الفرس بالرقبة
ويخلع الرأس من الرقبة فصاح به المغضب وقال لا أم لك لعله يكون من بعض عمار
هذا المكان ثم التفت الى رجلين من قومه عرفوا بالشدة والقوة والمراس فقال لهم
المغضب انظرا الى مايقول الجنان فنهضا على أقدامهما وركبا خيولهما وسلا سيوفهما
الى ان قرب من باب المضيق فصرخا من الطارق لنا فى هذا الليل الفاسق المتعرض لنا
فان كنت من الجن فنحن من مردة الجن وان كنت من الانس فنحن من عتاة
الانس فمن أنت ياويلك انطق قبل أن نرميك بالعطب ونحلك بالويل والغضب هذا

الامام ساكت لم يرد عليهما جواباً وهما على وجل الامام قد لصق بالارض إلى
أن وصلا اليه وحاذياه بفرسيهما فوثب اليهما كالأسد وقبض بيده على رجلين من
الفرسين فاندق فرس الثانى واندق صاحبه وسقط الأول على أم رأسه فانشج
شجة عظيمة من حيث خرج من المضيق صارخا مستغيثا بقومه فبادروا إليه وقالوا
ما وراءك قال ورائى البحر المغرق والموت المفرق فقالوا صف لنا مارأيت قال
إنى رأيت ما لا يقدر القارىء على وصفه فقالوا ماهو لا أم لك فقال هل رأيتم
رجلا يحمل فرسا براكبه قالوا لا قال هذا الرجل حمل فرسا براكبه ثم صدم به
الآخر فدق الفرس وراكبه فلما سمع القوم ذلك ذهلوا وحاروا قالوا كيف يكون
ذلك وكيف يتفق أن رجلا يفعل هذا الفعل فقال ها هو بباب المضيق فمن أرادأن
يعلم الأمر بالتحقيق فهذا بباب المضيق فينظر إلى ما نظرته من التصديق فلما فرغ
من قوله حتى وثب على المغضب بنفسه وصاح عليه وضربه بسيفه فقتله وقال قبحتك
اللات والعزى تباً لك ولمن ذكرت من الرجال هذا من لا يخاف سطوتى ثم قال
احتفظوا على أنفسكم حتى أعود اليكم فقال له قومه أيها الملك معك أربعة آلاف
فارس من صناديد العرب والسادات وتقدم أنت بنفسك دونهم ونحن نعلم أن فيك
الكفاءة لأهل الأرض فى الطول والعرض ولكن نخشى عليك أن يكون هذا من
كبار الجان أو من الجن الأشرار فنخاف عليك من طوارقهم فقال لهم بحق اللات
والعزى لا بد لى من الدنو اليه فإن كان من الانس قتلته وإن كان من الجن أبدته
ثم أنه حزم وسطه وجرد سيفه وكان عدو الله عظيم الخلقه كبير الجثة شديد الهمة
وتوجه إلى الامام وهو يبربر كالأسد وينشد ويقول :

أيها الطارق فى ليل غسق	وفاتكا فينا بسر قد سبق
إنى أنا المغضب اسمى قد ساق	أقطع الهامات فى يوم قد سبق

(قال الراوى) فلما سمع الامام قول المغضب عن أنه كبير القوم ورئيسهم
قال هذا والله بغيتى ومرادى اللهم سهل ساعته قال وأقبل عدو الله منفرداً بنفسه
حتى وصل إلى المضيق فنظر إلى القتلى وهم يجدلون فتحقق الأمر وارتعدت أوصاله
وقال وحق اللات والعزى لقد صدق صاحبنا فيما قال وإنما ظلمناه بقتلنا إياه ثم

أنه وقف بباب المضيق وهو ذاهل العقل وقد سمعه الامام رضى الله تعالى عنه وهو
يقول وحق اللات والعزى ما فعل هذه الفعال أحد من الأمم السابقة ولا قوم عاد
ولا ثمود ولا يقدر على ذلك إلا الغلام الذى يقال له على بن أبى طالب فلما سمع
الامام مقالته تقدم اليه وهو على مهل فلما دنا منه ووصل اليه نظر عدو الله فتحير
فبينما هو كذلك اذوثب اليه الامام وهجم عليه ولوح بحسامه وقال ويل لك ولا بائك
وأجدادك أنا المنعوت بهذه الفعال أنا مبدى العجائب أنا مظهر الغرائب أنا البحر
الساكب أنا على بن أبى طالب .

(قال الراوى) فلما سمع عدو الله ما قاله الامام علم أنه هو لا محالة فارتعدت
فرائصه وأيقن بالهلاك فصرخ بأعلى صوته وقال يا قوم أدركونى قبل أن أهلك
فتهلكوا جميعا فلما سمع القوم صراخه أجابوه فلما نظر الامام لسرعة القوم هجم
على عدو الله وقد أمسك جوارحه فلم يستطيع فوافاه الامام بضربة هاشمية علوية
على صدره فسحت صدره وذراعيه فسقط عدو الله إلى الأرض قطعتين وقالوا وحق
اللات والعزى مالنا بقتال الجن من طاقة فقال رجل منهم اسكتوا حتى أخاطبه
فإن كلمنى عرفته ماذا يكون إن كان إنسيا أو جنيا ثم تقدم إلى ناحية فم المضيق
وقال أيها الشخص المريد أخبرنا بما تريد .

(قال الراوى) فلما سمع الامام رضى الله عنه ذلك أجابهم وقال أريد منكم
كلمة النجاح والفوز والصلاح وهى أن تقولوا معى بأجمعكم لا إله إلا الله محمد
رسول الله فلما سمع القوم ذلك قالوا وحق اللات والعزى ما هذا إلا جنى وقال
بعضهم ما هذا إلا بشر مثلكم آدمى وما ترى من أمرى إلا تكون فى مكاننا حتى
يصبح الصباح فينكشف هذا الأمر فلما اجتمع رأيهم على ذلك تأخروا إلى ورائهم
فى داخل المضيق فلما رأى الامام رضى الله عنه تأخرهم وما عزموا عليه تقدم إلى
عدو الله وحز رأسه ثم قام فذبح كبشا من الغنم التى أخذها أولا وسلخه وأضرم
نارا وشواه وأكل حتى اكتفى وحمد الله وقام بين يدى الله تعالى راكعا وساجدا
حتى طلع الفجر فصلى صلاة الصبح ثم تحزم وأخذ سيفه وجحفته ونزل إلى أفواه
المضيق فلما طلعت الشمس نظر اليه القوم بأعينهم وهو فى فم المضيق يرمق اليهم

كالذئب إذا عاين قطيع غنم فقال بعضهم وحق اللات والعزى ما هو جنى ولوكان جنياً لغاب عند انتشار الصباح وما هو إلا منفرد بنفسه يريد أن يقتلنا ونحن أربعة آلاف فارس والصواب أن نتقدم إليه .

(قال الراوى) فتقدم للإمام عشرة من فرسانهم فلما وصلوا إليه حملوا عليه فقتل منهم سبعة وبقى ثلاثة فولوا منهزمين فقال لهم جنادة بن عامر وكان قد تقدم عليهم بعد المغضب انطلقوا اليه عشرين فأتوا عليه وافترقوا العشرون فلم تكن إلا ساعة حتى قتل منهم سبعة عشر وهزم الباقون فجعل الامام كلما قتل رجلا يجره برجله حتى يخرجه من المضيق ليتسع له المكان وقد تزايد صيانة القوم وشاروا بعضهم بعضا فأجمعوا على أن يحمل عليه مائة فارس فحملوا بأجمعهم كحملة رجل واحد ومقدمهم جنادة بن عامر فصاح على الامام ألا أخبرنا وما الذى تريد أصم أنتم لا تسمعون يا ويلكم أم عمى لا تبصرون ألم أقل لكم إنى عبد الله وابن عم رسول الله ﷺ أنا مفرق الكتائب أنا ليث بنى غالب أنا على بن أبى طالب .

(قال الراوى) فلما سمع القوم بذكره خافوا ورجفت قلوبهم وقالوا يا فتى عجبنا من أن تكون هذه الفعال لغيرك والآن فأنت صاحب هذه العجائب فاعلمنا بما تريد ونحن معك على ما أنت بليه فقال لهم أريد منكم أن تقولوا بأجمعكم لا إله إلا الله محمد رسول الله وأنا أنصرف عنكم راضيا وفى الآخرة مستشفعا ولمن عاداكم معاديا قال فنظر بعضهم لبعض وهموا بالاسلام ولكن خشوا جنادة بن عامر المقدم عليهم فقال جنادة الذى ذكرته دونه نعيد ودونه ضرب شديد فلا نكون لك طائعين وانما نحن لك متقدمون ثم تقدم اليه جنادة وقال لعبده كن معى معينا على كتافه ثم جردا أسيافهما وحملا على الامام رضى الله تعالى عنه فلما قربا منه رفع الامام دورقته وصدم بها صدر جنادة فأدهشته الصدمة ثم قبض على سراويله ومراق بطنه ورفعه فى الهواء والتفت الى العبد وقد ولى هاربا فأخذ سيفه وقصده قال الى أين يا ابن السوداء فأزعجه ثم بادره فضربه على رأسه فسقط على الأرض قطعتين

(قال الراوى) فلما نظر القوم الى ذلك تأخروا الى ورائهم وقالوا لبعضهم

نحن نطاوله الى ان يضجر وليس معه ماء ولا زاد فاذا انصرف عنا مضينا الى حال سبيلنا فسمعهم الامام وعرف ما قد عزموا عليه فقال يا ويلكم ان كنتم ملتم مطاولتى حتى أنصرف عنكم فذاك أمل بعيد وعشاى أغنام تقوم بى أياما كثيرة ولم يقطع الله رزقى ما دمت حيا وان فرغت هذه الأغنام يرسل الله الى الطير فارميه بالنبال فآكل لحمه وأستنشق بالريح فيغنينى عن الماء. وأنا أظهر لكم بيان ذلك فأخذ نبلة ووضعها فى قوس ورمى بها طيرا طائرا فوقع الى الارض طريحا فأخذه وذبحه وأزال ريشه وشواه واكله فلما رأوا منه ذلك تيقنوا أن لا طاقة لهم به فألقوا أسلحتهم أجمعين واستسلموا الى أمير المؤمنين ونادوا بأجمعهم الأمان الأمان يا ابن أبى طالب ابق علينا وأحسن بكرمك الينا فقال لهم ان كنتم صدقتم فى قولكم فليكتف بعضكم بعضا حتى أنظر حقيقة أمركم قال فأقبل القوم يكتف بعضهم بعضا حتى أوثقوا أنفسهم جميعا .

(قال الراوى) فعند ذلك تقدم الامام رضى الله عنه وقال لهم لكم واحدة من اثنين اما أن تقولوا لا إله إلا الله واما أن تموتون فأسلم مع الامام من القوم ألف رجل وأبوا عن الاسلام ٧٠٠ رجل وقالوا القتل أحب الينا فقال الذين أسلموا نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقالوا له يا امام لو ان الهك إله عظيم قدير لما فعلت ذلك بنا وأما الآن فقد رضيناه الهنا فقال لهم الامام لا يصح اسلامكم عندى حتى تضعوا السيف فى أصحابكم الذين أبو دعوة الاسلام فوضعوا السيف فيهم الى أن قتلوهم عن آخرهم فجمع الامام الاموال على بعضهم وحازها وأقبل عليه القوم الذين أسلموا وقالوا له يا ابن عم رسول الله ﷺ اجعلنا معك نعينك على أعدائك فقال لهم الامام دعونى فى شغلى وسيروا الى منازلكم أدعو من بقى منكم الى الاسلام فقالوا له سمعا وطاعة ولو أمرتنا ان نطلب الهضام لما يكبر علينا فى رضاء الله ورسوله ورضاك فقال لهم الامام رضى الله تعالى عنه أنا له طالب وسترون من نصر الله ما يسركم فقالوا له يا ابن عم رسول الله ﷺ وهذه الغنائم ما تصنع بها فقال انى سائرها الى ما شاء الله يفعل فيها فقالوا له افعل ما تريد فما منا من يتعرض لك فيها فقال الامام رضى

الله عنه أريد منكم خمسة رجال يساعدونى على سوقها فما استتم كلامه حتى برز له
خمس رجال من شجعانهم وقالوا له يا ابن عم رسول الله ﷺ نحن غلمانك وخدامك
ومهما أمرتنا به امتثلناه وتقدموا إلى تلك الغنائم فساقوها بين يدى الامام رضى
الله تعالى عنه وهو سائر مسرور بما فتح الله على يديه ولم يزالوا سائرين الى
أن دخلوا وادى الظل الذى فيه الرعاة وكان الامام رضى الله عنه لما قتل عدو الله
المغضب أخذ رأسه معه فلما اتوا إلى الوادى تأمل الرعاة فعرفوا الامام على رضى
الله عنه ونظروا سائقة الغنم الخمس رجال وراس عدو الله المغضب مع الامام على
فلما تأملوا ذلك فرحوا فرحا شديداً وكانت الرجال لما اخذت مواشيهم كبرت
بليتهم خوفا على أنفسهم من اصحابها وايقنوا بالقتل وقال أهربوا وقال بعضهم
كيف نهرب ونترك اهلنا وقال بعضهم على رسلكم حتى ننظر أمر صاحبنا ولقد
رينا منه شجاعة عظيمة اما رايتم كيف قفز وعدى النهر بوثبة واحدة الينا وقال
بعضهم ياويلكم تتوهمون الاباطيل من الاباطيل من الأمانى وتظنون ان رجلا واحد
يصل إلى أربعة آلاف فارس شجاع عوابس لم يزل معول على ذلك منقلبون إلى
أن ذهب النهار فباتوا قلقين ليلتهم إلى أن برق ضياء الفجر وطلعت الشمس
فبينما هم فى ذلك الرجاء والامان إذ طلع من بطن الوادى طالع فتأملوه فإذا هو
امير المؤمنين على بن أبى طالب والغنائم بين يديه والخمس رجال يسوقونها معه
فلما رأى القوم ذلك بهتوا وقالوا إنه ماخلصا من المغضب وقومه إلا بعدقتال شديد
وصاروا فى هذا ومثله إلى ان قرب منهم الامام فلما وصل اليهم قام له رجل من
رجالهم يقال له جنبل بن وكيع وقال أنا أسأله لأن اللسان يقصر عن وصف هذا
الانسان الجليل المقدار ولولا أرادتنا ماكان نزل عندنا ولو كرهنا اقتلناعن آخرنا
وأخذ سلبنا ومواشينا ولكن لابد أن أخاطبه وأجاوبه بمجاوبة القاصد للمقصود
فان خاطبنى لايخفى على ما عنده فقالوا له أفعل مابدالك وماتريد

(قال الراوى) فتقدم جنبل بن وكيع إلى الامام رضى عنه ورحب به وقال يافتى
ان كل ماهو بين يديك من الغنيمة هو لك وانت احق به من غيرك لأننا يامولانا
وجميع الرجال لكرمك متطاولون إن منت فلك ما أحسنت وان فعلت غير ذلك

فيحق لك ما فعلت لاننا يامولانا لم نقم بشيء من واجبك ولم تكن لنا معرفة بك حتى عرفنا باسمك هاتف بالامس وزجرنا زجرا شديداً وأخبرنا بك وبأسمك واعلمنا بأنك البطل الصبور زوج البتول وابن عم الرسول مفرق الكتائب ومظهر العجائب الحسام القاضب الاسد الطالب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على ابن أبى طالب ثم أن جنبل بن وكيع أنشد يقول

أنت الذى بفعالك يضرب المثل ومن قيامك يخشى السهل والجبل
أنت المنكس رأس القوم من فزع بذى الفقار ونار الحرب تشتعل
مرسالموك ففى عيش وفى رغد ومن يعاديك مقضى دونه الامل
فان عفوت فاهل العفـو أنت وان هلكت ياضرغام ياطل
الحق لاح بنـا لما حللت بنـا وفى يدك رجاء الخوف والامل

(قال الراوى) فلما سمع كلام جنبل بن وكيع تبسم الامام ضاحكا من قوله لانه فصيح اللسان وقال له ياويحك من ذلك على اسمى فاعلمه جنبل بقول الهاتف وما كان من أمره فعند ذلك نظر الامام اليهم فرأى أحوالهم قدمالت الى الاصفرار من شدة ما أصابهم من الخوف من هيبة الامام رضى الله تعالى عنه

فلما رأى الامام كرم الله وجهه منهم ذلك قال لهم ابشروا ياقوم بما يسركم فنحن باب السلامة ولنا الشفاعة فى الناس يوم القيامة دونكم وسابقتكم وليأخذ كل واحد منكم ما كان يرعاه لسيده وارجعوا على مكانكم

فعند ذلك ردت الوانهم الى الاحمرار ونهض كل واحد منهم آخذ من كان يرعاه لسيده ثم قبلوا نحو الامام كرم الله وجهه وقالوا ياسيدنا الا تستعين بنا على أمورك وتهضنا فى حوائجك لنجزيك على بعض وإن كنا لا ندرك اداركك فعرفنا يامولاى الى أين تريد والى من تكيد فقال لهم الامام ياقوم انى أريد صاحبكم الملك الهضام الجحاف وصنمه المنيع الذى فتن به العباد فنظر القوم عند ذلك بعضهم لبعض وقالوا يافتى كانت هذه الفعال فعاله ما يبعد عليه ما يطلبه ولكن صاحبنا الهضام فى جمع عظيم وعسكر جسيم وحصون مانعة فدبر ذلك بحسن ربك وها نحن معك فما تريد ان استعنت بنا أعناك لما وليتنا من الاحسان والتكرم الذى بدأتنا به

(قال الراوى) فتبسم الامام رضى الله تعالى عنه ضاحكا من قولهم وقال أنى لا أستعين الا بالله والمؤمنين قالوا له يامولانا إنا نفديك بالآباء لا الأمهات أخبرنا عن ما هى كلمة الايمان قال هى كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان وهى أن تقولوا معى بأجمعكم لا إله إلا الله محمد رسول الله قال جنبل بن وكيع أما أنا فأقولها غير متأخر عنها لما قد ظهر لى من الآيات والبراهين لو لا أن لك إلها واحدا عظيم وهو على كل شىء قدير ماوصلت الى ما وصلت وأنا يا مولانا أشهد أن لا إله إلا الله وأن ابن عمك محمد رسول الله فلما نظر أصحابه الى اسلامه أسلموا جميعا وحسن اسلامهم كانوا واحدا وأربعين رجلا رعاة ففرح الامام بهم وباسلامهم وقال لهم يا قوم لا يصح اسلامكم الا بكشف قناع الحق وبذل السيف فى أصحابكم فقالوا والله يا سيدنا لو امرتنا ان نقتل آباءنا واولادنا فى رضاء الله ورسوله ورضاك لفعلنا ذلك فشكرهم الامام ودعا لهم وقال يا قوم هل عند اهل الحصن علم باخذ سائقتكم قالوا نعم وقد سبق الخبر من حصن الى حصن حتى انتهى الى الملك الهضام فارسل لنا هجانين واوعدنا بالعذاب وبعده القتال وقد اغتاظ غيظا ومع ذلك فهو من بقية التباعية وإن الملك المنتقم من جماعته وأن له جثة لم يحمله الا الخيل العتاق وقد جعله فى أول حصن من الحصون لأن الملك الهضام يخاف من مكره فلذلك أبعده وجعله فى أول حصونه فلما سمع الامام منهم ذلك الكلام تبسم ضاحكا وقال لهم إذا رجعتم سائقتكم هذه إلى حصنكم ووصلتم إلى صاحبكم فلا تكشفوا له عن خبرى ولا عن اسمى فعسى أن يخرج إلى وأن يقضى الله ماهو قاض فقال جنبل ياسيدى ان خرج معه قومه واصحابه وجميع عشائرهم وهم فرسان فى القتال ونخاف أن تحول بينك وبينه حائل فتلومنا على ذلك فقال لهم الامام ان الله تعالى لما يريد فإذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون ثم اقام القوم بقية يومهم إلى أن دخل المساء فرجعوا بالسائقة إلى حصنهم وكان اهلهم قد قطعوا الرجاء من مواشيهم فلما رأوا الرعاة قد آتوا بالسائقة إلى حصنهم تباشروا ووقع الصياح فى جميع جهات الحصن بأن السائقة رجعت فجاء القوم ولم يعلموا ما كان السبب فى ذلك فلما سمع القوم المنتقم بذكر الخبر وكان المنتقم فى هذا الوقت متكئا

فاستوى جالسا وقال ياويلكم ماهذا الأمر العجيب فقالوا إنه بلغنا عن الرعاة أنه لما غار عليهم المغضب وأخذ المال وساقه ومضى به كان عندهم رجل غريب عابر سبيل فما زال فى أثر القوم حتى دخلوا المضيق فسد عليهم باب المضيق وما زال يقتل منهم واحد بعد واحد حتى خرج اليه المغضب بنفسه فقتله وحز رأسه وجاء بها معه وأتى بالمال العظيم معه وقتل منهم خلقا كثيراً وأتى بسايقنا سالمة ودفعها إلى الرعاة بأجمعها فلما سمع المنتقم هذا الكلام قهقه بالضحك الشديد حتى كاد أن يقع على قفاه وقالوا كذبوا وحق اللات والعزى وحق الإله المنيع ولا أظن إلا أنهم هموا بأخذ السايقة فسد عليهم الطريق إله المنيع فلم يجدوا لهم منفذا ينفذون منه فرجعوا الينا بهذه الحيله ثم أمر بإحضار الرعاة فأحضروهم بين يديه وقال لهم باشر حين أردتم أخذ السابقة لأنفسكم وضربتم عنا الحيله وحق المنيع أن لم تخبرونى وتصدقونى والا قتلتكم جميعا .

(قال الراوى) فعند ذلك نظر بعضهم إلى بعض وتطاولوا إلى جنبل بن وكيع لأنه كان سر الجواب فقال اعلم أيها السيد العظيم أن من قطعت أنامله سرى الألم فى جسده جميعه ومن حاد عن طريق الحق وقع فى المضيق وما كنا نخرج من بلادنا ونترك أولادنا والهنا المنيع الذى يحفظنا وإذا سألناه أعطانا ونترك ماصفاه من العيش ونتعرض للمنيع فيرمينا فى المهالك والدواهى ويحرقنا بناره وليعلم الهنا المنيع حقيقة أمرنا والخافى سرنا فلا تكذبنا أيها السيد فى قولنا فإن الذى طرقنا هو من عطفات المغضب الذى كان يطرفكم كل عام فلا بقيتم ترون له غراة ابدا مادام الجديدان وبقى الزمان فقد قتلى وقتل معه خلق كثير من قومه فقال ياويلكم ومن فعل بهم هذه الفعال ومنذ الذى قدر عليهم قال فعل بهم رجل غريب من العرب وأنا أصفه لك حتى كأنك تراه هو غلام بطين تجلس الوحوش حواليه للمباشرة وحسن منظره ومنطقه بالصواب ويقلع الشجرة الراسخة الأزلية .

(قال الراوى) فلما سمع المنتقم وصف جنبل بن وكيع عظم ذلك عليه لما وصفه من شجاعة الامام رضى الله عنه ثم قال المنتقم ويحك ياجنبل واين يكون هذا

الغلام قال هو قريب من بلادنا فلما سمع ذلك المنتقم صرخ فى أمته وعشيرته فاجتمع اليه القوم وحضروا بين يديه فقال ياقوم ان هذا الرجل الذى ردسا تقتكم وقتل عدوكم قد انتهى من خيرة مالم يسمع والطاعة يا أيها السيد نحن لـكلامك مطيعون ثم تواعدوا بالخروج اليه فى غدا وكانت تلك الليله التى قدم فيها الرعاة من عند أمير المؤمنين فلما برق ضياء الفجر وفتح باب الحصن وخرجت الرجال فلما تكامل القوم خرج خلبهم المنتقم وهو مشتهر بلبس الأحمر والأصفر فركب جواد من عتاق الخيل وقد لبس أفخر ماعنده من لامة حربه وخرج من حصنه بجميع قومه ولم يترك فى الحصن غير الصبيان والنساء ومن لايقدر على الحرب من الشيوخ وسار المنتقم أمام قومه وهو يرتجز وينشد

ليس الهجوم على الرجال بعزة يدعى شجاعا مهلكا بمناجل
بطل شجـاع نازل بفنائنـا أوفى العدة بنائل أو نازل
سيروا بنا نلقى الغـلام بجمعنـا ليراه حقـا مثل قول القائل

(قال الراوى) فعندما نظر جنبل الى ماعزم القوم قال ياقوم أنى أريد أن أسبق قبل القوم إلى الأمام على رضى الله تعالى عنه فأخبره بذلك ثم سار جنبل وقد حاد عن الطريق وسار فى بعض الشعاب إلى أن وصل الى الامام فسلم عليه فردعليه السلام وقال له الامام ماوراءك ياجنبل فقال سيدى حفظك الله وانعم عليك أنظر إلى أمامك ورد أتاك المنتقم بجميع قومه فقال الأمام انه غنيمتى ورب الكعبة ولكنه قد عظم عليك مارأيت من الجيوش ياجنبل والذى بعث ابن عمى رسولا وبالحق بشيرا ونذيرا لو خرج الى ملككم بجميع جيوشه لكنت بمفردى فقال جنبل ياسيدى ان الهضام اذا ركب يركب معـه خمسمائة الف عنان سوايك فى النزال قومه خاصة غير مايتبعهم من الرقيق والغلمان والعبد فكيف تلقاه ومعه هذا الجميع كله فقال له الامام والذى بعث ابن عمى بالحق بشيرا ونذيرا فانه إذا برز الى الهضـام أتلقـاه وحدى ولو يكون معه جميع من فى الأرض من الطول والعرض فان ثقتى بربى جل وعز فقل وأوجز

فقال ياسيدى ان المنتقم لم يترك فى الحصن رجل يرجى بل خرج بهم اليك والمنتقم بعد يمثلهم فانظر ماذا ترى وما تأمرنى به أنا وأصحابى فأنا لكلامك سامعون فلما سمع الامام ذلك جازاه خيرا ثم قال له بل الذى أمركم به أيسر مما ذكرت وأقرب مما اليه أشرت فقال جنبل ماالذى تأمرنى به قال الامام رضى الله عنه ياجنبل خذ أصحابك الذين اسلموا معك وادخلوا الحصن واغلقوا الأبواب واوثقوها من داخل ولاتدعوا أحدا يدخل عليكم وانكروا أمركم واتركونى أنا وهذا الجيش وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ينصر الله من يشاء وهو على كل شيء قدير فلما سمع جنبل ذلك من الامام التجم عن الخطاب فقال ياسيدى نخاف أن يسمع بذلك الملك الهضام فياتينا بجيوشه فقال له الأمام ياجنبل أن لك نفسا وأجلا مقسوما فاذا جاء أجلهم لايستخرون ساعة ولايستقدمون (قال الراوى) فلما سمع جنبل قول الامام على رضى الله تعالى عنه قال ان كان الأمر كما ذكر قول الله لامتثلن لما أمرتنى به ثم قال جنبل لأتباعه إن كنتم آمنتم بالله ورسوله وأتبعتم اليه فاطيعوه واسمعوا قوله ولا تبالوا من الموت إذ نزل فلما سمعوا ذلك تباشروا بما بشرهم به جنبل من قول الامام من الخلود فى جنات النعيم وهانت عليهم أرواحهم فى مرضاة ربهم وقالوا ياجنبل مالذى تريد أن تصنع فقال جنبل أدخلوا الحصن على بركة الله ورسوله واغلقوا بابه وأوثقوه وتحصنوا ولو دهمكم الملك الهضام بجيوشه وعساكره ماوصل اليكم لانه حصن منيع الطعام والماء فأن طال بكم الحصار لم تنالوا منه وان حدث فى هذا الغلام حادث فان ابن عمى محمد ﷺ (قال الراوى) فلما سمعوا مقالة جنبل وثبوا اليه وقالوا له أنت علينا مشير فسر بنا على ماتحب وتختار ثم أن جنبلا أخذهم وتقدم بهم إلى الحصن فلما وصلوا إلى باب الحصن وجدوا عليه جمعا كثيرا من النساء ينظرون أزواجهن وأولادهن وملكهم المنتقم فلما وصل جنبل وأصحابه اليهن جعلوا يفسحوهن على الباب لداخل الحصن فاستحيت النساء من ذلك وقالت ياويلكم من عبيد ما اقل أدبكم وما الذى نزل بكم حتى تفعلوا ذلك فقالوا لهن ياويلكم الم تعلمن أن هذا الغلام

الذى نزل بكن ودهمكن فى أزواجكن وأولادكن هو العذاب الواقع والسم الناقع ابن عم الرسول أمير المؤمنين على بن أبى طالب قد أتى اليكم بجيش وقد كمنوا فى الشعاب وقد نزل إلى سيدكم المنتقم بجيشه وقد أمرنا بحفظ الحصن ومافيه واحمايه عنه فمن كان عندها سلاح فتأتنا به واجمعوا الجنادل والأحجار .

(قال الراوى) فلما سمع النساء ذلك بادرن إلى أماكنهن وأتين بجميع الأسلحة ثم أقبل جنبل على أصحابه وقال ياقوم أنى أخاف أن يضرب الشيوخ علينا الحيلة ويمكروا بنا فقال أصحابه وما الذى ترى الرأى عندى أن تمضوا اليهم وتقتلوهم فلا حاجة لنا بهم .

(قال الراوى) فمضى العبيد وقتلوا الشيوخ عن آخرهم قال فلما رأت النساء ذلك تصارخن فقال جنبل لأصحابه أو ثقوهن كتافا واطرحوهن فى بعض زوايا الحصن ففعلوا وطابت خوطرهم ووقفوا على أعلى السور واشهروا سيوفهم ونصبوا الاعلام وفرقهم جنبل فى جوانب الحصن فهذا ما كان من أمر جنبل وقومه وأما ما كان من خبر عدو الله المنتقم فإنه قد سار بقومه حتى أشرف على أمير المؤمنين الذى لم يكبر عليه عظم كثرتهم بل أنه أظهر ميله إلى الحرب وكان على شاطىء النهر إنما يلى حصنهم وديارهم فوثب قبل وصولهم اليه وثبه عبرانها إلى الجانب الآخر وأقبل إلى الجسر وتأملة فإذا هو من خشب مركب على أعمدة فضرب بيده على مايليه من الاخشاب فقلعها من موضعها وأزالها من مكانها وكان عليه كثير من التراب فانهال جميع ذلك فى النهر وذهب به الماء وانقطع الجسر وعاد الامام مكانه وصار متكئا على جحفته غير مكترث ولم يزل الامام جالسا مكانه إذ أشرف عليه القوم وما زالوا سائرين إلى أن وصلو اليه فنظروا إلى النهر راوه وقد قطعه الامام وحده لعظم عليهم ذلك وتعجبوا منه وقالوا وحق زجرات المنيع ما يفعل هذا رجل واحد ثم أنشد يقول

يا أيها الرجل الجميل فعاله   نعم المبارك قد فعلت صنيعا
لك عندنا مال واحمال جزا   أنى لأمرك فى الأمور مطيعا

(قال الراوى) فلما سمعه الامام بار بالغضب ووثب وثبة الاسد وتجرد من

اطماره ثم جرد سيفه وأخذ جحفته وعدو الله باهت لايدرى ماهو عازم عليه ثم تقدم الامام إلى شاطىء النهر بوثبة واحده واجتمع وانفرد من الأرض فعد النهر بوثبته وهجم على عدو الله وقال له أنت عدوى وأنا عدوك وأنت طلبى وأنا طلبك ياويلك افق من وقدتك أنا العذاب الواقع أنا الأسد الزؤر والوحش الجسور وزوج البتول وابن عم الرسول ممزق الكتائب ومظهر العجائب ليث بنى غالب على بن أبى طالب

(قال الراوى) فمال اليه الفرسان من كل جانب ومكان ولما سمع المنتقم مقالته وعلم أنه على ابن أبى طالب ارتعدت فرائصه وصرخ بصوت قوى وقال لقومه ياويلكم أدركونى من قبل أن تفقدونى من بينكم فهذا الغلام الذى خرجت بكم اليه وقدمت بكم عليه هو على بن أبى طالب فمالت الفرسان ووثب اليه الامام وضربه ضربة بسيفه عرضا فارمى عدو الله بنفسه إلى الأرض ونادى يا ابن أبى طالب ليس العجلة من شأنك فرمى الامام السيف عنه وقال ياعدو الله وعدو نفسك قل ما أنت قائله فعند ذلك حمل عليه القوم حملة واحدة قوية وهجموا بكثرتهم ودهموا بجمعهم ثم قام عدو الله وحمل على الامام وقد قوى عليه قلبه وشد عزمه بايجاد قومه له وقال يابن أبى طالب هذا ماجنيته لنفسك وان لم ترد سائقتنا اكراما منك الينا بل أردت الخديعة والدخول إلى حصننا والذى أملته بعيد يا ابن أبى طالب ياعدو المنيع وعدو الآلهة العظام فما بقى محمد بن عمك ينظر إلى طلعتك فإن الحياة عادت حراما عليك بعد هذا اليوم فقال الامام كذبت ياملعون ولا ازول عنكم حتى أذيقكم كاس الموت والحمام وأنا الأسد الضرغام والبطل المقدام ممزق الكتائب ومظهر العجائب ليث بنى غالب على بن أبى طالب فلما سمع المنتقم ذلك فار من الغيظ وقال لقومه احملوا عليه بكثرتكم وميلوا عليه بكليتكم ثم صرخ جديعة بن كثير وكان غلاما كثير الجسارة وفارسا مشهورا فحمل عليه الامام ولم يمهله حتى ضربه عرضا فرمى رأسه مع رقبته فلما نظر القوم حاروا ودهشوا من فعاله وهابوا أن يتقدموه إلى ورائهم وهم ينادون إلى أين يا ابن أبى طالب لنذيقك اليوم المعاطب وظنوا أنهم قادرون على الامام (قال الراوى) فصرخ

جم الامام صرخة الغيظ المشهورة فى القبائل ثم حمل فيهم وصاح الى اين ياأولاد اللئام وحق رب الكعبة لاأزول عنكم حتى أبدد شملكم ثم حمل عليهم الامام ووضع درقته فى صدر القوم وأنشد يقول :

أنا الخطاب والجزار أدعى أمير المؤمنين فهل معانى
أنا قرم الهياج الهاشمى هدمت لخيبر بده الزمان
أقبض على الأرامل بالعطايا واكرم جيرتى فى كل مكان
ومل نار الحروب سوى على فدونكم ترونى بالعيان

(قال الراوى) فلما سمعوا ذلك بعضهم الى بعض والمنتقم مطرق لكلام الامام كاطراق الحصان لصلة اللجام فعند ذلك أقبل عليه قومه قالوا له أيها السيد ماالذى تأمرنا به قال لهم هل تتبعونى قلوبكم مملوءة من الحزن والوجل شقيتم من قوم تتبعون الشعار وقد جللكم فما تم كلامه حتى برز الامام من القوم غلام رشيق وبيده عتيق وهو على مضمور من الخيل العتاق فتقدم الى المنتقم وقال أيها السيد وحق المنيع لاتيك برأسه سريع فقال المنتقم أبرز اليه فلك كل المكارم فلما خرج الغلام من بين القوم قال الامام ظهر لى شجاعته فاحببت أن يكون مثله الله ورسوله فنادته ياغلام أرى سيدك قدمك للمهالك فارجع فانى لك ناصح فلما سمع الغلام الامام تبسم ضاحكا وقال أنا ما أنزعج الا من نار المنيع فقال فعطف عليه الامام وضربه عرضا على صدره فخرج السيف من ظهره فسقط أبو الهراش (قال الراوى) فلما نظر المنتقم ذلك مشى الى الامام له جسم كالبعير ونادى برفيع صوته يا ابن أبى طالب أن البغى مصرعه الرجال وسهام الأطال ومن زها بنفسه وعجب بشجاعته أورده ذلك موارد العطب ومن سل سيفه ظلما قتل به رغما (قال الراوى) ثم أن الامام حمل على عدوا الله وحمل الآخر كذلك وتقارنا وتحاربا وشهد القوم منهم مشهدا عظيما ماروى الرواه مثله قال الامام فوجدت عدوا الله صبورا على الضرب جسورا على الطلب ثم أن الامام جمع نفسه وقد كثر بينهم العرق والقلق وقد احمرت الحق فعلم الامام من عدوالله التقصير وقد أشرف على الهلاك فنادى ابن ابى طالب

وقال للمنتقم ارفق قيلا حتى اخاطبك بكلام لك فيه المصلحه فتأخرعنه الامام وقد طمع فى اسلامه وقال فى نفسه والله اشتهيت أن يكون مثل هذا الأسد الأروع فى الاسلام ثم تأخر عنه وقال له قل ماتشاء. فقال ابن أبى طالب أناقد رحمتك لحسن فعالك ورأيت أن أعفو عنك وأطلق لك السبيل لأنى علمت أنك قد أشرفت على الهلاك فانا أبعث اليك بفرس ومطيه وأزودك الماء والزاد واهبك من الامور مايكفيك وترجع الى ابن عمك سالما غانما وانا اشهد لك بين القبائل والعربان بالشجاعة والبراعة ثم حمل الامام مع كلامه وقال ياويلك اشر لنفسك وأهلك وأولادك وجميع قومك أن يقولوا لاإله إلا الله محمد رسول الله ثم حمل الامام وطلب انجاز الوعد فنظر عدو الله الى الامام وقد عزم على قتله وصمم بعد أن أردعت فرائصه وصار يرتعد كالسعفة فى الريح البارد فنادى وقال يا ابن أبى طالب الصدق أو فى سبيل فبالله ابقنى فان لى فى القوم مالا واهلا واولادا فان ملت اليك يقطعها بينى وبين أهلى واولادى وجميع مالى فخلى سبيلى حتى أخاطب قومى فان أجابو الى ماأريد كان الراى الحسن وإن خالفونى دبرت أمرى وخالفتهم وفارقتهم فقال له الامام أفعل مابدالك وأنت بين الجنة والنار فامض الى أيهما شئت وطمع الامام فى اسلامه فخلى سبيلة فرجع المنتقم الى قومه وقد تضعضعت أركانه وخمدت نيرانه فقالو له أيها السيد الكريم مافعلت بهذا الغلام فقال المنتقم وسطوه المنيع لقد نازلت الأبطال فما رأيت غلاما أصبر من هذا على القتال فما الراى فى أمره وما تفعلون فقالوا نحن معك فالذى ترضاه لنفسك رضيناه لنا والذى تأمرنا به فعلناه. فقال لهم ياقوم أن هذا الغلام يريد منا أن نرفض عبادة المنيع الاله الرفيع ونعبد الهه ونشهد لابن عمه بالنبوة ونكون معيرة العرب فى المحافل قالو وماترى جوابنا الا أننا نمله بقية يومنا هذا الى أن يتسبل الظلام فنسير الى حصننا ونتحصن فيه من داخله ونوفق اقفاله فلا يستطيع الوصل الينا ونوسلى رسول الى الملك الهضام فيأتينا بجنوده وعساكره وأهله كل حصن يمدوننا بالنصر على عدونا فقالوا جميعا افلح الله رأيك ايها السيد هذا هو الرأى السديد فاتفق رايهم على ذلك ثم قالوا دبر هذا الأمر بعقلك أنه

لايصلح الا لمبارزة كسرى وقيصر (قال الراوى) فلما اختلط الظلام نظر الامام إلى جهة القوم وإذا هو برجل خارج من جيش المنتقم مسرعا إلى جهة الحصن فظن أنه رسول فلصق حدق وتأمل فإذا هو بآخر قد خرج من ورائه وآخر فى أثره وهم يتسلون واحدا بعد واحدا هربا إلى الحصن فلما رأى ذلك الامام علم أنهم عزموا على الهروب إلى الحصن فأخذ سيفه وجحفته وجعل يزحف على بطنه كالحية على وجة الأرض إلى أن وصل إلى جانب البر وجمع نفسه ووثب فعدى النهر ولم يعد عليهم بل عدل عنهم وأسرع إلى جبهة الحصن يريد الوصول اليه قبل أن يصل اليه أحد منهم فما زال الامام يسرع فى سيره فلم يكن إلا أقل من سا ه حتى وصل إلى الحصن ولم يصل اليه أحد قبله فنظر إلى أعلاه فرآى العبيد على أعلى السور وقد رفضوا الرقاد وداموا على السهر بكليتهم وقد خلعوا العزار فى مرضاة الملك الجبار فلما نظر أسرع جماعة منهم وهموا أن يرموه بالأحجار فنادى الامام لاترموا بالأحجار وافتحوا إلى الباب شكر الله سعيكم وأمنكم من عدوكم فعرف القوم صوته ففتحوا له الباب وفرحوا به فرحا شديدا وكان نوافد آيسوا منه وقالوا ياسيدنا اقلقتنا بابطائك وكثر خوفنا عليك ونوينا على القتال إلى أن نقتل عن آخرنا فى مرضاة ربنا فجزاهم الامام خيرا ثم قالوا فما كان خبرك حتى ابطاك علينا فقال مايكون إلا الخير والسلامة وفى هذه الليلة يظهر لكم إن شاء الله تعالى تمام الكرامة ثم قال لهم الامام اخرجو بأجمعكم خارج الباب ولا تمنعوا أحدا من الدخول وانا ابلغكم منكم المأمول فقال جنبل بن ركيع ياسيدى وما الذى عزمت عليه قال أن اضرب رقابهم فذهل القوم من كلام الامام وخرجوا بأجمعهم الى خارج الحصن فلم تكن الا ساعة وإذا بالقوم مقبلين وفى أوائلهم ذؤيب بن ياسر الباهلى فقال له جنبل ماوراء باذؤيب فقال له لاتسألني عن الموت الفاضل ثم هم ودخل فى الحصن والامام يسمع كلامه ثم ضربه ضربه قسمه نصفين ثم سكت واخفى خمسة فبينما هو كذلك إذا دخل آخر فقاربه الامام وضربه ففلق رأسه عن جسمه

(قال الراوى) فبينما هو كذلك إذ دخل آخر فقاربه الامام وضربه فأزال

رأسه عن جثته وإذا بضجة عظيمة قدامهم وإذ هو بعد والله المنتقم راكبا على بعيره وحوله غلمانه وشجعانه وقد أحاطوا به من كل جانب فلما وصلوا إلى باب الحصن أناخوا البعير ثم حملو عدو الله وأنزلوه فتقدم الى باب الحصن يريد الدخول فوقف والتفت الى أصحابه وقال لهم ياويلكم الزموا باب حصنكم إلى أن تتكامل أصحابكم وادخلوا الحصن واغلقوا بابه وتحصنو ثم أن عدو الله تركهم على الباب ودخل الحصن ومعه رجل من جماهير قومه فرفع جنبل صوته يسمع الامام وقال يامولاى يبلغك الاله مأمولك وأعطاك سؤالك لقد أبردت بعقلك قلبى وسررت خاطرى فعند ذلك فهم الامام اشارة جنبل وكان للحصن بابان من داخل بعضهما فوقف الامام رضى الله عنه عند الباب الثانى من أطماره حتى بقى فى سراويله وأخذ سيفه وجحفته ثم أقبل على عدو الله المنتقم وحواليه السيوف مسلولة وهو فى وسط القوم كعلو الفارس على الراجل

فلما وصلوا إلى الامام وثب عليهم وصاح فيهم صيحته المعروفه الهاشمة وقال الى أين يالئام الى أين المفر من ابن عم خير البشر فلما سمع القوم ذلك ولوا هاربين يمينا وشمالا وصار عدو الله وحده واقفا باهتا لا يدرى مايصنع فنادى يا ابن أبى طالب أحسن إلى وابق بكرمك على فقال له الامام أتخدعنى ياعدو الله والله أن لم تقر لله بالوحدانية ولمحمد ابن عمى بالرسالة الا قتلتك أشر قتله فقال له ابن أبى طالب بحق ابن عمك محمد ﷺ الا ما أبقيت على فعند ذلك أخذ الامام عمامته بعد أن القاه على الأرض وكبه على وجهه وأوثق كتافه وجمع يديه الى رجليه وتركه لايستطيع أن يتحرك وعمد الى القوم .

فقال لهم قولوا نشهد أن لاإله إلا الله وأن محمد رسول الله فقالوا بأجمعهم نشهد أن لاإله إلا الله وأن ابن عمك محمد رسول الله فقال لهم الامام رضى الله عنه مايتحقق عندى اسلامكم فقالوا له يا ابن عم رسول الله هذا حقيقة اسلامنا قال نعم (قال الراوى) فعند ذلك جردوا سيوفهم وعمدوا مع الامام إلى الباب الذين هم داخله ففتحوه فوجدوا القوم قد دخلوا كلهم من الباب الأول واجتمعوا عند ذلك الباب الذى من داخله أمير المؤمنين فخرجوا لهم وحطموا السيف فيهم وأقبل جنبل وقومه من

خلفهم وصاحوا فيهم الله اكبر فتح ونصر هذا والامام على رضى الله عنه يقول
مروهم ان يقولوا لا إله إلا الله والا نفنيكم عن آخركم فمن قالها ارفعوا عنه السيف
ومن ابى فاقتلوه فما زالوا كذلك إلى ان مضى ثلث الليل فنادى القوم بأجمعهم
الأمان يابن ابى طالب ونحن اسراك وفى يدك فقال لهم الامام رضى الله عنه لن
يؤمنكم من سيفى إلا ان تقروا لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة وإلا افنيكم عن آخركم
فصاحوا بأجمعهم نحن نشهد ان لا إله إلا الله وان بن عمك رسول الله فامر القوم ان
يرفعوا عنهم السيف فما مضى نصف الليل الأول الا وقد كفاه الله القوم ولم يبق عندهم
من يقاتل ابدا واقبلت الرعاه وجنبل إلى الأمام وقبلوا يديه وهنئوه بالسلامة
وبما فتح الله عليه فى تلك الليلة فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم خر ساجدا لله
تعالى فى وسط الحصن شكرا لله تعالى (قال الراوى) فلما فرغ الامام من سجوده
ورفع رأسه واستوى قائما امر بإحضار عدو الله المنتقم فاحضر بين يديه فأمر
بحل كتافه وقال ياعدو الله وعدو نفسك انك على شفا جرف هار اما إلى النار واما
إلى الجنة ياويلك اقر لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة تفوز فى الدنيا والآخرة
واصرف عنك المحال ودع عبادة الأصنام فقال المنتقم يا ابن أبى طالب اجعل
لك حملا ارسله اليك وإلى ابن عمك فى كل عام من جميع ماتختاره من الصنوف
المثمنة من الجواهر والذهب الأحمر وما اشبه ذلك فقال له الامام ياويلك اما لك
ومال قومك ومال ملكك ان شاء الله تعالى احمله كله إلى رسول الله ﷺ بعد
ان اقتلك واكسر صنمك وانت وا مايخلصك من سيفى إلا قول لا إله إلا الله
محمد رسول الله فقال ياابن ابى طالب اما هذه الكلمة لا اقولها أبدا وان عجلت
قتلى فلى من يأخذ الثار وهاهو امامك المسمى بالخطاف هندى الحميرى يقتنص
الوحوش فى فلواتها والأسود فى غاباتها فلما سمع الامام ذلك من عدو الله فار
بالغضب وقال الذى اوصلنا اليك يوصلنا إلى غيرك واما انت فقد عجل الله بروحك
إلى النار ثم قام الامام على قدميه وضرب عدو الله المنتقم بذى الفقار فازال
راسه (قال الراوى) ثم الامام على رضى الله عنه امر باحضار النساء فاحضرت
بين يديه فاعرض عليهن الاسلام فمن اسلمت اقرها فى مكانها ومن ابت وكل

بها من يقتلها فلما فرغ الامام من ذلك جمع الاموال وجمع ذلك كله فى دار عدو الله المنتقم وقفل عليه وختمه واوصى بحفظه ثم اقبل الامام على القوم وقال لهم ان الله سبحانه وتعالى قد دعاكم للاسلام ومن عليكم بالايمان وانقذكم من ظلما الكفر والطغيان وانى ماض عنكم فالله فى انفسكم فلا تكفروا بعد ايمانكم ولا تنافقوا فى اسلامكم آمل الله الرجعة اليكم عن قريب ان شاء الله تعالى بعد بلوغ ما اريد من ملككم الزميم واصرف شره وشر صنمه وشيطانه الرجيم فقالوا جميعهم يا ابن عم الرسول انا لن نؤمن بحقيقة امرنا وقد علم الله صدقنا واراد لنا الحياة واطمأنت انفسنا ونسير معك وبين يديك فما يكبر علينا ان نقاتل بين يديك ملكنا واهلنا فلما سمع الامام منهم ذلك سر بمقالتهم وعزل لهم مائة رجل يمكثون فى الحصن وأمر عليهم جنبل بن خليل الباهلى وأوصاه بالشفقة على من فى الحصن ووصاهم بحفظ مافيه وأمر على الرعاة جنبل بن ركيع فقال جنبل يا أمير المؤمنين بالذى بعث بن عمك بالحق بشيراً ونذيراً لا تأخرنى عن المسير معك لحرب قومى وقتـــال عشيرتى يطول دهرنا وزماننا ولا اتركه حتى يشفى عليل قلبى وماقدمت من ذنبى قد جزاه الامام خير على كلامه وقال له لك ذلك ياجنبل فإن الله كريم لا يعجل على من عصاه ثم أن الامام دعا بعبد يقال له حصن بن شنبش وأمره على الرعاة وأوصاه بحفظ السائقة والأموال وأوصاه بروحها كل ليلة إلى داخل الحصن ثم سار الامام وأخذ معه ثلثمائة فارس طالبين حصن رامق ووادى الحديق وصاحبه الأمير عليه الخطاب بن هند الحميرى الملقب بمروع الوحوش فساروا وقد أخفى الله أمرهم وماجرى لهم فلم يعلم أحد من أهل الحصون والأودية وأما الملك الهضام فقد اشتد كفره وطغيانه وتجبره وقد شاع فى العرب ذكره وعظم خطره وكان يركب كل سنة ثلاث مرات إلى صنمه فإذا دخل عليه خر له ساجدا من دون الله عز وجل فلا يرفع رأسه حتى يهتف الشيطان بصنمه ويأمره بالقيام (قال الراوى) فبينما عدو الله فى تزايد كفره إذ ورد عليه كتاب رسول الله ﷺ مع جميل بن كثير العابد فاستأذن فى الدخول على الملك قيل له اصبر حتى نخبر الملك بقدومك ثم أن الحاجب

أخبر الوزير بقدوم ذلك القاصد فأخبر الملك بذلك فقال أيها الملك أنه أتاك اليوم قاصد يذكر أنه من عند محمد صاحب يثرب وابن عمه على بن أبى طالب واستأذن فى الدخول عليك والوصول إليك فأوقفه الحاجب وأخبرنى بخبره وها أنا أخبرك (قال الراوى) فلما سمع الملك الهضام بذلك عظم عليه وقال اوقد ذكرنى محمد مع ذكر وعرض لى مثل ماعرض لغيرى ايظن انى كغيرى من العرب وان الهى كسائر الالهة ثم أمر بباسط مجلسه فبسط وشتورة علقت وبعث إلى اكابر قومه فاقامهم حوله بالسلاح النشاب وبأيديهم العمد والحرب ولبس الملك تاجه الملمع باليواقيت والجواهر واظهر نعمته وأقام ترجمانه بين يديه لأجل مايبلغ الكلام إلى القاصد ثم أمر بإحضار قاصد رسول الله ﷺ بين يديه فتبادرت غلمانه وحجابه إلى جميل بن كثير فاتوا به أسرع من طرفه عين وقالوا له اجمع عقلك وبين فضلك وانظر لمن تخاطب وأعلم من تكلم ثم دخلوا به إلى أن وقف بين يديه فلما نظر جميل إلى مملكته وسلطانه وحجابه وغلمانه وتاجه الذى على رأسه ويواقيته والقوم محدقون به التجم عن الكلام وتبلد عن السلام فغضب الملك لذلك وعرف الغضب فى وجهه فاضطرب القوم لذلك وماج بعضهم فى بعض ورفعوا العمد والسيوف وتوقوا خطاب الملك لكى يبادرهم بسوء فنظر الترجمان الا ذلك وكان صاحب عقل وأدب وفضل فقال للملك أعلم أيها الملك أن هيبة المملكة ومرتبه السلطنة تلجم الناظر عن الكلام عن مقالته فى النظم حتى تدهشه عن السلام (قال الراوى) فذهب عن الملك ما كان قال الترجمان لجميل أن الملك يقول لك ياويلك من انت ومن اين اقبلت وإلى من قصدك ورسول من أنت قال جميلى ابن كثير أنا رسول صاحب يثرب محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف وقدحملنى هذا الكتاب وارسلنى اليك لاطلب الجواب ولا طلب شراً ولا ضراً وقد ازعجنى ما رأيت من هيبة الملك فتبسم الملك الهضام ضاحكا وقال هلم إلى بكتابك فتقدم اليه جميل وناوله الكتاب ففكه وقرأه وفهم مضمونه ومعناه وقهقه حتى كاد أن يقع الأرض (قال الراوى) ثم التفت الهضام إلى جميل قال ياويلك

صف لى هذا الغلام المذكور فى الأرض فقال جميل أيها الملك أن التكفر اقبح بالعبد الدنى. فكيف بالصيد فإن أحببت أن أصف لك فلى عليك شرطان أحدهما ان وصفته لك فلا يكبر على الملك فيقتلنى بغير ذنب أنت اغنى الناس عن ذلك الثانى أخاف أن أصف لك شأنه العظيم فيبلغ غيره فاكون كذابا وأنا الآن أسألك أيها الملك أن لا تسألنى عن هذا السؤال فإنى لاقدره لى عليه فقال الملك ان قلت مافيه على الحق فلا خوف عليك ان كنت صادقا فقال جميل أيها الملك أنه غلام موصوف بالشجاعة معروف بالبراعة أخف من البرق إذا لمع وأسرع من الفهد إذا وثب حسن اليقين (قال الراوى) فلما فرغ جميل من كلامه تبسم الهضام ضاحكا وقال وحق زجرات المنيع لقد وصفت صاحبك واحسنت فى وصفه فدع عنك هذا الكلام وأقص عن وصف هذا الغلام واعمل فى خلاص نفسك قبل حلولك فى زمنك وقل لأى شىء اتبعت محمـــداً وأمنت به فقال جميل على أن ينقذنى من النار ويدخلنى الجنة التى هى دار القرار فقال الهضام ومتى يكون هذا الأمر فقال جميل إذا قامت القيامة وقامت الخلائق من التراب إلى الاجتماع فى دار الحساب فقال الهضام قد أخبركم صاحبكم محمد انكم تموتون وتصيرون رفاتا ويختلط اللحم والعظم هذا باللحم والعظم هذا بالعظم وتمضى عليكم الدهور والأعوام ثم تعودون بأجساد وأرواح ثم يكون بعد ذلك حساب وعقاب وجنة والنار فقال له نعم فقال له وإلى أين هذه نار وهذه الجنة قال شىء لا يفنى ولا ينقضى فعجل ياويلك بالعاجل ودع الأجل (قال الراوى) ثم التفت اللعين فى بعض أولاد وكان اسمه ناق وقال له قم يابنى اكشف له عن الجنه والنار وخيره بين الداريين فاختار المقام فى دار النعيم فدعه يأكل من فواكهها وثمارها ثم أخذ ناقدا جميل وذهب به إلى الجنة وقد رأى جميع مافيها ثم قال ناقد اتبعنى حتى اكشف لك عن دار هى احسن من هذه ثم اخرجه وعمد به إلى النار وقد كان ارسل إلى العبيد الموكلين بها الذين سموهم الزبانيه فأمرهم باضرامها وتقويتها فلما أن قرب منها ناقد وجميل قربه واطلعه فى درج عالى مبنى من الرخام الملون حتى انتهى إلى أعلى الدرج فقال ناقد لجميل اختار أى

الدار اردت فلما اشرف جميل على النار ونظر إلى قعرها وكثرها زفيرها وقال ابعدونى عنها وامضوا بى إلى الجنة فلما دخل فيها جميل وتوسطها واستنشق ريحها وتصايحت به حورها وافتتن جميل واحتوى الشيطان على قلبه فسلب الله تبارك وتعالى منه الايمان ومال إلى ملتهم ورفض دين الاسلام .

(قال الراوى) فعدل من ورائها جميل لعنة الله عليه إلى تلك الآلات والنور والآنية من الذهب والفضة فقال للجارية لمن هذه قالت لك وأنا لك وجميع هذا لك حتى يمضى من وقته وساعته إلى الاله المنيع فهو الهنا الأعظم فتخر له ساجدا وتقر له بالعبوديه فقال لها حبا وكرامة أنا اسجد له مائة سجدة ثم خرج جميل وناقد بن الملك معه لأنه كان اوصى الحور العين أن يخاطبه ويقلن له ذلك فلما خرج جميل قال ناقد إلى أين تريد قال إلى الاله المنيع والرب الرفيع اسجد له واقر له بالعبودية فقال له ناقد افلحت ياهذا ونجحت ثم اقبل ناقد راجعا إلى الصنم فما زال كذلك حتى قرب من الابواب ومازالوا كذلك حتى دخلوا فيها وهمت المتنعمون فى الجنه أن يدخلوا معهم فنعهم الحاجب من الدخول فتصايحوا بناقد وقد قالوا له دعنا ندخل إلى ربنا المنيع الهنا السميع فنظر إلى معجزاته ودلائله وآياته (قال الراوى) فاذن لهم ناقد بالدخول وهو امامهم اقابض على يد جميل لعنه الله فما زال يدخل من باب إلى باب إلى أن دخل البيت الذى فيه الصنم فنظر القناديل توقد بأطيب الادهان ونظر الصنم معلقا فى الهواء لايرفعه عمود من تحته ولا علاقة من فوقه فحار جميل واندهش واعطاه ناقد خاتما من الحديد الصينى كبيرا فأخذه جميل بيده وتقدم إلى الصنم فلما شم الصنم رائحة المغناطيس جذبه بالقوة المركبة من الحديد فلما نظر جميل إلى ذلك حار فعلم ناقد منه ذلك فقال ياويلك اسجد فان الاله قد قربك اليه فعند ذلك سجد جميل لعنه الله وسجد معه جميع القوم فاقبل الشيطان اللعين الموكل بالصنم فدخل جوفه وجعل يهذى بكلام التضليل (قال الراوى) فصاح به الخدام من كل جانب ومكان يقولون ياجميل ابشر بالخير الجزيل فقد جاد عليك المنيع بالكرم والتفضيل وقد خرجت من ذنوبك كثير .

الناس رؤوسهم فلما فرغ تمسح القوم به تبركا وهنوه على ذلك وقبلوا يديه وكذلك ماقد ولم يزلوا من حوله محدقين إلى أن وصلوا الجنة التى يزعمونها فلما دخلها استقبلته صاحبته الطاغية بكاس من خمر قالت له خذ هذا فهو تمام الفرح وزوال العمر ولم يبق بعد يومنا هذا ولا نصب فتناول الكأس من يدها وتجرعه وأبعده الله تعالى عن بابه وطرده عن نبيه ونام مع صاحبته وكفر بالله العظيم ثم أن ناقد أتى إلى أبيه وأخبره بذلك ففرح الهضام فرحا شديداً وقال وحق المنيع لو وصل الينا عـــلى بن أبى طالب لفعلنا به مثل هذا وكان نسير إلى ماصار اليه صاحبه وينسى ابن عمه وهل يرى هـــذا العميم والعيش السليم ويتباعد عنه ومازال الملك فى كفره وطغيانه قال فلم يمض إلا يومان أو ثلاثة بعد أمر جميل والقوم فى لهوهم وسرورهم والسدنة من حول الصنم قد هجع القـوم فى بعض الليالى إذ صرخ الصنم صرخة عظيمة فازدحم عـلى الابواب وقام الملك من على سريره وأولاده حواليه فقال الملك لولده الأصغر وكان اسمه غنام أنظر يابنى المنيع ولاشك أنه وقع بنا أمر فانظر ماهذا الخبر فمضى غنام ورجع وهو طائش العقل فقال ياأبت انه صراخ المنيع ولاشك انه وقع أمر فركب الملك من وقته وركب أولاده من حواليه وسار بهم الملك حتى دخل عـــلى الصنم بعد سكوته فلما دخل عليه الملك صاح واضطرب ونطق الشيطان من جوفه ينشد ويقول قد حل فى ساحتكم ليث بطل رومى شجعانكم كلا بالحبل هذا عـلى قريب قد وصل فادهموه بالسيوف النبل ثم أقطعوا منه بعزمكم الامل فهو لكم وفى أيديـكم قد حصل (قال الراوى) وكانت هتفة الصنم قبل أن يصل الامام إلى حصن الوجيه حين قتل المغضب وخلص السائقة وردها وتعوق بعد ذلك حتى فتح الحصن فلما سمع الملك من صنمه هذا الكلام قال يالهى وياسيدى لا وقفنه بين يديك ذليلا ثم ان الملك التفت إلى ولده ناقد وكان أكبر أولاده فقال له يا ناقد أسجد لالهك فانك لعدوه قاصد وله قائد وعن قريب تأتى به حقيراً ذليلا فخر ناقد ساجداً للصنم فسمع عند ضحكا واستبشاراً وفرحا وسروراً من الصنم يا ناقد أرفع أمرك واسرع بالاستعجال وجميع الأبطال وتأتى به فى القيد والأغلال منكسا فى

أسوأ حال فلما سمع ذلك ناقد قام مسرعا ووقف مع أبيه إلى منزله فقال الملك يا بنى أنك وافر العقل تام الفضل وان إلهك لا يحذر إلا من أمر عظيم وهذا الغلام المذكور على ابن أبى طالب وأنه قد شاعت بين العرب أخباره وقد ظهر أنه فارس صنديد وقرم إلا أن الهك وعدك النصر عليه وأخبرك أنه وحيد فريد فأمض اليه وخذ من تختاره من قومك وعشيرتك وأصيك إذا لقيته تحذره من نارى وشوقه إلى جنتى فإن ركن فجد العفو عليه وابسط جناح الاحسان وأن أبى فاغتنم انفراده بأنك آمن من ناصر ينصره ومعين يعينه ولا شك أنك تجده عند حصننا الأقصى وهو حصن الوجيه فازع لامع أعيان (قال الراوى) فعند ذلك قام ناقد على قدميه وجعل يخترق الصفوف ويتصفح وجوه الرجال وينتخب الأبطال واختار أن يأخذ من صناديد القوم ألف رجل فارس فلما لاح ضياء الفجر خرج ناقد وقومه قد تزينوا بزينتهم المدخرة عندهم ولبسوا فوق رؤسهم التيجان المرصعة باليواقيت والجواهر المثمنة وركبوا الخيول العربية وناقد بن الملك الهضام أكثر منهم زينة وله ذوائب تبلغ إلى مؤخرة سرجه وهو مقلد بسيفين عن يمينه وعن شماله وبيده رمح خطى فلما تكامل أصحابه وعزموا على المسير فركب أبوه معه يشيعه ويوصيه ويحرضه على الامام رضى الله عنه إلى أن بعدوا عن الحصن فرجع الملك إلى حصنه وصار ناقد وهو يجد المعير فبينما هو سائر إذ لاح غبرة عظيمة فتأملها وقال لقومه ما تكون هذه الغبرة العظيمة فقالوا لعل أن تكون غبرة رمال أو ظباء شاردة أو زوابع عاقدة فقال لهم ناقد لو كانت كما تقولون لكانت منفرجة وهذه عقده معتقدة فتأملوها جميعا فقال بعضهم وحق المنيع إن هو إلا جيش وقال بعضهم غير ذلك فتحير القوم من ذلك ووقفوا جميعا فبينما القوم وقفوا متحيرين إذا انكشف الغبار ولاحت إلا سنه ولمعانها وهى تبرق كالبرق وكواكبها زاهرة فذهل القوم من ذلك ولم يعلموا أنه جيش الامام على رضى الله عنه وكان الامام قد نظر من بعيد فقال لقومه ياقوم إلا ترون ما أرى فقالوا يا ابن عم رسول الله ماترى قال أرى جيشا كبيرا فيأمل القوم فنظروا جيش ابن الملك فقال يامعشر المسلمين لا شك أن أصحاب الحصون

قد بلغهم خبرنا فهل منكم من يسرع إليهم فتقدم اليه جنبل بن ركيع وقال له يامولاى أنى لكلامك سامع ولأمرك طائع أؤمرانى بما تشاء وتختار فإنى وحق ابن عمك محمد لا أخالف لك أمر لجزاء الامام على ذلك خير وقال له أنت ها ياجنبل فأسرع اليهم فإن كانوا من أعداؤنا فلا يأس أن تخدعهم بخديعك واذكر لهم أنكم ظفرتم بي وأمسكتمونى وأسرعونى وإنكم سائرون بى إلى الملك الهضام لتأخذوا منه الجزاء والاكرام ثم قال له الامام بادر وفقك الله إلى مسيرك فمشى جنبل ابن ركيع إلى أن قرب من جيش ابن الملك الهضام فوجدهم قد جردوا السيوف وعزموا على القتال والحرب فنظر جنبل اليهم وإذا هو ناقد ابن الملك وكان أعرف صاحب خديعة كثير المكر والحيل ماكر فلما عرفه وتحققه وعرف ناقد ابن الملك ترجل جنبل عن جواده وأقبل يسعى على قدميه فلما قرب من ناقد خر ساجداً لله تعالى فلما نظر اليه ناقد عرفه وظن أنه ساجداً اليه فقال ياجنبل ارفع رأسك فقال يامولاى عبدك وأمنك فقال ناقد اركب جوادك فركب جواده فقال له ناقد يابن ركيع ماوراءك وما الذى بلغك من خبر هذا الغلام الكثير الانتقام على بن أبى طالب فقال جنبل اسمع يامولاى بينما نحن سرحنا وغنمنا على ماجرت عادتنا ونحن فى الظل مجتمعون نرتع ونلعب إذا حضر الينا غلام من أعلى الوادى وهو يهوى كالبرق يهرول فى هشيه ويوسع فى خطواته ثم اجتمع ووثب وثبه عدى فيها النهر يثب كالأرنب ويخطوا كالجمل يقصر الليث عن وثبته فى عظم خلقته وكبر جثته كبير الساعدين بعيد ما بين المنكبين فتحققناه وتقربنا منه وتصايح أهل الحصن ونزل اليه سيد المنتقم فنازله فى ميدان الحرب فلم يزل به ومعه حتى عثرت برجله فى حجر فوقع على وجهه فترامت عليه الرجال والأبطال فأخذوه باقتدار أسيرا وملكوه وصار فى أيديهم حقيرا ذليلا ثم كتفناه وحملناه بعد أن جندل منا جماعة كثيرة من الرجال والشجعان والأبطال فأجمعنا على قتله فمنعنا عن ذلك سيدنا المنتقم وأمر بحمله إلى الملك المكرم ليحكم فيه بما شاء ويمضى فيه ما أمره المنيع الاله الرفيع فلم نجمل أن نسير به إلا فى عدة من الأبطال والرجال

الفوارس وهذا يامولاى جله أمرنا وغاية خبرنا (قال الراوى) فلما سمع ناقد ذلك ما قال له جنبـــل تهلهل وجهه فرحا وسرورا ثم قال وحق المنيع لقد فزتم بهذا الغلام واستوجبتم فعلـــكم الاكرام وما خرجت من مـــكانى لهذا الغلام الكثير الانتقام فحصل لكم بلا ملام لكن ياجنبل ارعى وصفك لهذا الغـــلام فعد إلى قومك وأمرهم أن يسرعوا الينا ويقدموا بهذا الغلام علينا فعاد جنبـل راجعا وقال يا أبا الحسن قد اتيتك بنـــاقد وهو بن الملك فى ألف فارس قال فسار الامام حتى وصل عسكرنا فقال ناقد وجبت لك البشاره يا جنبل فأين هذا الغلام المسمى بعلى فلم يتم كلامه حتى تقدم الامام إلى ناقد وأسفر عن لثامه وقال لهما أنا معدن المواهب أنا المشهور فى المناقب أنا على بن أبى طالب (قال الراوى) فلما سمع ناقد كلامه فح جواده بالسوط وصرخ فى قومه وقال يا قوم أن جنبلا خدعكم وما ينجيكم من القوم إلا القتال الشديد فافرقوا المواكب وصفوا فنفرت الرجال للحملة فقال الامام لأصحابه احملوا بارك الله فيكم وعليكم وبقى ينظر لعلى أن يقع نظره على ناقد فيقبضه قال فحملت الرجا على الرجال واختلط الجمعان ووقفوا السيف بينهم قال فبينما الامام ينظر إلى ناقد فاذا هو قد جميـــل الوجه حسن الصورة صغير السن فلما نظره الامام أشفق عليـــه أن يقتله وكان لا يرحم كافرا قط غيره فبينما الامام وناقد حمـــلا على بعضهم وإذا بصياح عالى فاذا هو صاحب حصن رامق ويسمى الخطاب وكان قد أرسل اليها أصحاب ناقد وقالوا له الحق ناقد بن الملك فانه مع على يشد القتال فلما أشرف عدو الله الخطاف على ناقد قال يامولاى ما يكون للملوك فقال ارجع ودعنى مع هذا الغلام ثم تقدم الخطاف إلى الامام وهو ينشد ويقول

مالى أرى القوم فى ركوب وفى حرج	قد مر بلوا جمعهم بالويل والكفر
وكلهم جزعوا من خوف سيف على	نسل الكرام المسمى من ذوى مضر
القوم قوم اله يعرفون به	من الحديد ومن جزع ومن صفر
لا تركن عليا تحت ذلته	حتى أطوف وبه فى البدر والحضر

(قال الراوى) ثم حمل عدو الله وجعل يخوض المعركة بسيفه وقاتل فى ذلك اليوم قتالا شديدا فبينما هو يكر على المسلمين وإذا بصوت الامام رضى الله عنه وهو يقول أنا ابن الابرار من نسل هاشم المختار أنا ماحق الاشرار فلما سمع عدو الله صوت الامام ونهراته فى الحرب وهو يخطف الفارس من سرجه ويضرب به الثانى فيقتل الاثنين فهابه القوم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل إلى وقت العصر فافترقوا وقد ملئت عرضا الوادى بالقتلى وتراجع الفريقان فى أماكنهم ورجع الامام إلى عسكره يترنم شعر

حرمة الحرب بغيتى ومرادى وطريق إلى قنا الاغواد
يابنة الظهر لو رأيت حروبى وشهودى وشدتى وجلادى
وولوج الحسام فى منهل النقع لا شفى من الثام فؤادى

(قال الراوى) فاستبشر به وفرحوا وهنئوه بالسلامة فرجعت الطائفة الاخرى إلى موضعها خاسرة فلما أصبح الصباح تراجع الفريقان وقام الحرب والطعان ثم قال الامام أن القوم أكثر مناعددا وأقرب منا ديارا وأنى أخاف من يجده تنجدهم فيكثر علينا الامر ويكثر علينا الشر وإنى أرى من الرأى أننا نباردهم قبل أن يبادرونا وذلك أهيب لنا فى قلوبهم وأرهب فى نفوسهم ثم قال لاصحابه قفوا مكانكم حتى أسير بين الصفين وأطلب البراز فعسى أن يخرج عدو الله الخطاف فآخذه بلا تعب فقالوا ياسيدنا أن فى القوم أسدان أحدهما ناقد بن الملك والآخر الخطاف فأحذرهما وقد عرفتهما بالأمس قال الامام حسبنا الله ونعم الوكيل ثم خرج الامام منفردا بنفسه وأخذ رمحه وغير حلته فلما تمثل بين الصفين قال الخطاف لناقد من هذا الذى تعرض القتال وطلب البراز قال ناقد هل قال لا قال هذا على بن أبى طالب فقال الخطاف أنى أراك ياناقد كثير الوصف له املك كثير الارتعاد منه قال نعم فبينما هم كذلك إذ زحف الامام عليهما حتى قاربهما ثم نادى هل من مبارز هل من مناجز فلم يبرز اليه أحد فحمل على الميمنة فقبلها على الميسرة وقال ما شاء الله تعالى ورجع إلى مكانه ونادى هل من مبارز هل من رواج إلى قابض الأرواح فلم يجبه أحد فحمل على الميسرة فقبلها

الميمنة وقال ماشاء الله ورجع صوب القلب ونادى اين من زعم أنه كيف كريم فلم يتم كلامه حتى انقض عليه وهو على جواد أشقر وبيده رمح طويل حتى صار بين يدى الإمام ونادى ياعلام الرفق بالمرء يوصله إلى هناك فاكشف لنا عما تريد فلعل أن تكون الإجابة عندنا والانعام والآن قد كشف لنا عتابك ولعمرى قد كنت متطاولا لرؤيتك فقل ما أنت طالب وما مرادك فأعجب الامام من كلامه وقال له مرادى أن تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فإذا قلت ذلك وأقررت لله بالوحدانية فلك ما لنا وعليك ما علينا وأما صنمكم الذميم فسوف تظهر فيه العبر وأكسره أمامكم كدرة الحجر وترجعون إلى عبادة الرحمن فتكونوا شركاء لنا وإخواننا فى الاسلام فقال له ناقد يا ابن أبى طالب دونك إلى أم خاطر وموت باتر فقال له الامام دونك والقتال قال فوقف ناقد يتكلم فى نفسه ويقول وحق المنيع وزجراته لو تركنا الامر حيا لعشنا فى منزلنا وطرقنا فى مرقدنا ولعمرى أنى أجد فى كلامه حلاوة ولمنطقه مرارة أنى أرعب وأخشى أن يفعل ربى الأعظم ما يشاء. فقال الامام يا ناقد اطلق لسانك بالوحدانية لله تعالى واشهد برسالة محمد صلى الله عليه وسلم يمح عنك ماسبق قال ناقد ما أنا بالذى يفعل ذلك ويبقى له العار والشنار فلما سمع الامام كلامه علم أنه لا بد من لقائه فتقاربا وعظم الجدال والفريقان ينظران فمازالا حتى مضى النهار وأقبل الليل فخاف الامام أن يدركه الليل ولم ينل منه ما أراد فحمل عليه الامام وكان قد ظهر له من ناقد التقصير فطمع فيه وجعل يدبر عليه الحيلة من فكره ليأخذه فتصارخت الأبطال وتزاعقت الشجعان وإذ بالمشركين يصرخون ويقولون خرج الخطاف واندهل العسكران والخطاف ينادى لا تعجل يا علام علينا فنعجل عليك وابق علينا نبقى عليك فوثب الامام على ناقد وقبض عليه فتعلق به وتعاركا طويلا فأدركهما الخطاف وتعلق بهما وهاجت الخيل فأخفاهم عن الأبصار وسمعنا صراخ الخطاف وقد همد وسمعنا عدوات الامام وزجراته ثم خمدت فلم يسمع لهما صوت هذا والغبار متزايد وقد طال على الناس المطال ولم يبق أحد من الفريقين إلا وأيس من الامام رضى الله عنه فقال حنبل نحن فرطنا فى الامام إذ تركناه مع هذين الاثنين ولم نخرج إليه ولم نساعده ولم نتجده ونفديه بأنفسنا وأى عذر لنا عند الله فأجمعوا أمركم

واحملوا بأجمعكم فعسى أن نخلص سيدنا وأميرنا وأنه قد وقع بين حجرين دامغين ولا خلاص له من بينهما إلا أن يشاء الله وقد دام كل فريق أن يحمل ويخلص صاحبه وقد زاد القلق واشتد الأرق وأزرت الحدق وإذا بصرخة عالية وإذا بالامام قد خرج من المعركة وهو يقول فتح ونصر وخذل من كفر هذا وناقد فى يده كالحمام فى مخاليب الباز ونظروا وإذا بفارس هارب من تحت العجاج فتأملوه فإذا هو الخطاف وأما ناقد فصار مثل العصفور فى يد الباشق فسلمه الامام لأصحابه وقال يا معشر الناس إن القوم قد خمدت جمرتهم فاحملوا عليهم بارك الله فيكم وعليكم فقالوا يا أميرنا الليل قد أقبل والنهار قد أدبر فقال لهم الامام أضرموا النيران فإنها ليلة كثيرة الأهوال والله أعلم بالمآل .

(قال الراوى) فعلوا ذلك وأقبلوا على السهر والرصد وهم جلوس قابضون على أسلحتهم وتولى الامام حرس المسلمين إلى أن أصبح الصباح وأما المشركين فهربوا مع الخطاف إلى الحصن فقال عسكر ناقد يا خطاف تمضى إلى حصنك وتخلى ابن سيدنا فى الأسر أما وحق المنيع فلا نسلمه لعلى إلا أن قتلنا عن آخرنا ولأى شيء أنت خرجت معنا وقد رميت سيدنا ورجعت وأنت سالم فقال الخطاف ياويلكم لقد قاتلت ومانعت عن نفسى وسعيت فى خلاصه فما استطعت ولو أن كف . لما خلصت من يديه فقالوا له امض إلى حصنك ونحن إذا أصبح الصباح سعينا فى خلاصه وأما الامام فإنه لما طلع الفجر أذن وصلى بأصحابه ثم أقبل يحرض الناس على القتال ويقول يا معشر الناس اعلموا أنكم فى غمرة ساهون وكنتم تعبدون الأوثان فأنقذكم الله وأسعدكم بفعلكم وهذا عدوكم بإزائكم ثم أن الامام دعا بناقد وقال له يا ناقد الغد نفذ فيكم القضاء وقيدك رب السماء وأنت فى تأمل فهل لك تبق علينا قبل أن نسكن برمتك قال يا ابن أبى طالب أينجينى منك ناج بعد كان بينى وبينك من الوحشة والبغضاء والعداوة قال الامام يا ناقد إذا كان مبغضا على كافر فأسلم وأقر بالوحدانية لله ولمحمد رسوله بالرسالة بدلت البغضاء بالمحبة وانقلبت الوحشة بالمودة فأقر بهما يطيب عيشك وتفوز بخير الدنيا والآخرة قال يا ابن أبى طالب من يخلصنى من المنيع قال له إن طول الله عمرى

لتنظرن صنمك المنيع بأمر هائل شنيع وتراه فى النار التى وصفتها ملق حريقا فقال يا ابن أبي طالب لا شك فيك ولا فيما أظهرته وفعلته فقد وهبت نفسى لك فى هذا اليوم ولا أبالى بما يلحقنى من المنيع ولا من ابى وذوى حسبى وأنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقد أفلح من آمن بربكم وخاب من كذبكم وها أنا أقاتل بين يديك فى القوم لله ورسوله ولك ولأبغك الرضا .

(قال الراوى) فسر الامام سرورا عظيما وقال له البس آلة حربك واركب جوادك حتى تخرج إلى قومك ثم أمر المسلمين بالركوب فركبوا وفعلوا ما أمرهم به الامام .

فلما تقاربوا من المشركين قال الامام لناقد يا ناقد ابرز بين الصفين وادع قومك إلى الاسلام فلعل الله يهديهم كما هداك فخرج ناقد وهو راكب على جواده ولابس آلة حربه فلما نظروا إليه فرحوا به فرحا شديدا ولم يبق أحد منهم إلا عرفه وقد ظنوا أن الامام أطلقه فلما قرب ناداهم بأعلى صوته يا قومنا قد ظهر الحق وانكشف الغطاء وجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا يا قوم عدوا عن الضلالات واعتذروا لرب البرايات يغفر لكم ما مضى وما هو آت يا معاشر قومى وعشيرتى ليبلغ عنى كبيركم وصغيركم أنى قائل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله لا أحول عنها ولا أزول وما أنتم أشد منى بأسا ولا أقوى مراسا وهذا باب قد فتح الله طريقه لكم ولاح لكم بحقيقة فكونوا مثلى تفوزوا بالشهادة وتكونوا من أهل السعادة فما كان غير ساعة من الزمان حتى ظهر من القوم كردوس عظيم نحو من ألف فارس ولم يزالوا سائرين حتى وقفوا عنده وإذا هم من أصحابه الذين خرجوا معه من عند أبيه وهم يقولون يا سيداه لنا أسوة بك والذى تختاره احنا نرضاه ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا تصديق إيمانا ثم عطفوا على قومهم أصحاب الخطاف ووضعوا السيف البتار وجلب المسلمون معهم والامام فى أوايلهم وناقد إلى جانبه فلم تكن إلا ساعة حتى ولت المشركون ولم يزل السيف والطعن واقعا فيهم وكان الخطاف على ساقة العسكر فقاتل قتالا عظيما فلما ولت أصحابه ولى طالبا للحصن فدخل الحصن هو وأصحابه

ثم أن الامام جمع الغنائم وكثرت المسلمون واشادوا بناقد وعزمه وقوته وصاروا المسلمون نحو من ألف وخمسمائة فارس وكلهم أبطال عوابس فتبعوا أصحاب الخطاف ولم يزالوا معهم إلى باب الحصن فدخل الحصن وأغلقوا بابه ونزلت المسلمون عليه بقية يومهم وقد امتلأت الحصون بذكر الامام وقد قذف الله فى قلوبهم الرعب .

(قال الراوى) ثم أن الخطاف لما دخل الحصن قام أصحابه ياسيداه ماوراءك وما الذى دهاك وبشره رماك فكان لايقدر أن يرد جوابا من شدة الخوف فقال لهم اغلقوا الباب وحصنوا أنفسكم ففعلوا ماأمرهم وهو جالس فلما سكن روعه سألوه ما دهاك قال يا قوم قد ذهب زمانكم فقالوا له أيها السيد بين لنا ما وراء كلامك فقد أرعبت قلوبنا من خطابك فقال يا قوم قد دهمكم المحمديون وهم ليوث أبطال يقدمهم الليث المغوار الذى كأنه صاعقة من السماء قد نزلت وأخذت قلوب الرجال مغلق الهام وقد احتوى على ناقد بن الملك وأتباعه وقد خطفه من سرجه فانظروا لأنفسكم فإن عليا لاحق بكم .

(قال الراوى) فلما سمع قومه ذلك ضجوا بالبكاء ضجا شديدا وتصارخوا بالويل والعويل فبينما هم كذلك فى صراخهم إذا ظهر إبليس اللعين فى صورة شيخ كبير قد أفناه الزمان منحنى تكاد جبهته تصل إلى الأرض وعليه جبة صوف فى شكل الرهبان وبيده عكاز ووسطه مشدود بخيط من صوف وفى رجليه نعلان من خوص النخل فلما نظره القوم تنافروا يمينا وشمالا يصرخ بهم ما تنافركم وأنا رسول المنيع أرسلنى إليكم حتى أرى ما بكم من الجزع وشدة القلق والفزع لأسكن قلوبكم وأبرز لقتال عدوكم فأزيل عنكم الشدة وأبطل البكاء والحزن من الأعداء وإذا أشرف عليكم هذا الغلام أتولى أنا قتاله دونكم ولا أريد منكم نصيرا ولا معينا وإذا رأيتمونى قد وصلت إليه واحتويت عليه وقد أظهر المنيع بجنوده ونيرانه ودخانه فمن أراد أن يسبق إلى خيل القوم وسلاحهم فليبادر إلى ما شاء . فلما سمع القوم سجدوا للصنم ثم رفعوا وزاد فرحهم قال مروع الوحوش أيها الشيخ الكبير

أنى لا أظنك من جند المنيع إلهنا فقال له إبليس أجل وأنا رسول بينه وبين عباده لأنى أسبق الناس إلى عبادته وخدمته فجزانى بهذه الكرامة فكونوا فى أماكنكم حتى تروا ما يسركم من قتال عدوكم فقالوا له أيها الرسول إنا لنراك أضناك الكبر وأننا لا نوقن أن لا طاقة لك على الحرب والنزال وشدة القتال فقال لهم إبليس لعنه الله كيف تشكرون فى المنيع وتقولون أنه لا يقدر على شيء فقالوا له إنا لا نشك فى ذلك أبداً ونعرف أن المنيع له عزم عظيم ولكن نريد أن نرى شيئا من برهانك لنكون على علم وتطمئن به قلوبنا فلما سمع منهم ذلك قال لهم أن المنيع لو أراد هلاك هذا الغلام قبل وصوله إليكم لفعل ذلك ولكن يريد أن يستدرجه إلى أن يوقعه فى أيديكم حتى يذيقه العذاب والهون وتنشرح صدور الرجال وتنالوا عنده المرتبة العليا والفخر الزائد العميم وبعد ذلك يهلكه فإنه ذو عزم شديد وأنا أريكم بيان ذلك وبرهان المنيع الاله الرفيع وشدة قدرته ثم بسط يديه وأوما بها إلى الحصن فخيل لهم أنه قد رفع الحصن فوق أصبعه وشاله فى الهواء وقد تزعزع وارتج فذهل القوم ولذلك صرخ الرجال والنساء ثم عاد فوضع يديه فرأى القوم الحصن كما كان فى مكانه فخر الجميع سجدا للمنيع .

فقال لهم إبليس يا قوم ارفعوا رؤوسكم ثم غاب عن أعينهم فلم يروه .

(قال الراوى) فعند ذلك قال لهم مروع الوحوش أبشروا يا قوم فقد جاءكم الفرج فلما سمع القوم ذلك لبسوا سلاحهم وآلة حربهم وتفرقوا فى جوانب الحصن وضربوا على سوره سرادقا من جلود الفيل ونصبوا الرايات والأعلام وعزموا على الحرب والقتال وقد أصلحوا شأنهم فبينما هم كذلك إذ أشرف عليهم الامام رضى الله عنه وأصحابه معه على مهل وعليهم الهيبة والوقار فانحدر الامام إلى الوادى وأشرف على حصن رامق وقد أظهرت الحدائق والشمس قد اصفرت لغروبها ثم نزل هو وأصحابه بالنزول فنزلوا من حول الحصن وانسدل الظلام وأضرموا النيران وتحارس الفريقان والامام رضى الله عنه متولى حرس قومه بنفسه يحوم عليهم كحومة الليث على أشباله .

(قال الراوى) فقال عدو الله الخطاف مروع الوحوش بأصحابه أنى لم أر

رسول المنيسع صنع فى ابن أبى طالب شيئا وها هو نازل يايذائنا بالسلامة فقال له قومه أيها السيد لاتستبطل قول رسول المنيسع فقال لهم احفظوا حصنكم وانزلوا من داخله لئلا ينقبوه عليكم ويدهموكم فابتدروا جماعة من القوم إلى ذلك وعدو الله الخطاف يدور على سور الحصن لينظر ما وعده به رسول المنيسع وهو قلقان شاخص إلى جهة الامام رضى الله تعالى عنه لا يعلم بغير ذلك فبينما الامام مع أصحابه إذ لاح لهم برق نار وإضرام شرار وقد بان من ناحية الشرق ولاح البرق فحقق إليه الامام وقال لمعت نار ماردا أراه يتعرض لى ولأصحابى .

(قال الراوى) ثم أن الامام رضى الله عنه أيقظ أصحابه وأمرهم بالجلوس ورفض الامام فنظروا إلى تلك النار وهى قاصدة وشرارها متوقد فقال جنبل بن ركيع يا أمير المؤمنين ما هذه النار ؟ فقال الامام يا قوم سكنوا روعكم وطمنوا قلوبكم فإنها نار الشيطان ولا سبيل له على أهل القرآن وجنود الرحمن فبينما الامام يخاطب قومه إذ تزايد لهيبها فلما نظر الامام إلى ذلك أخذ رمحا وخط به خطا حول أصحابه وناداهم اجتمعوا ولا تفرقوا واذكروا ربكم واصبروا ثم جعل الامام رضى الله عنه يقرأ القرآن ويتلوا آيات الله العظام وأسمائه الكرام عند الرسم الذى خطه برمحه وهو دائر به حول أصحابه ولم يبق أحد من خارج الرسم غيره ثم قال يا معشر الناس إنى ضربت عليكم حصنا حصينا فلا يخرج منكم أحد ومن خرج لايلومن إلا نفسه واتركونى أنا لهم والله المعين والناصر عليهم إنه على كل شىء قدير فقال ناقد كيف يجوز لنا أن نسلمك إلى هذا المارد إلا أننا نقاتل بين يديك تقربا إلى الله فالتفت الامام مبتسما غير مكترث بما ظهر وقال يا ناقد أنت أقدمك لمبارزة الرجال والأبطال فليس لك طاقة على قتال الجان فقال ناقد لا والله يا أبا الحسن لا أنزع الله ما أعطاك وأتم عليك ما أولاك .

(قال الراوى) فبينما الامام يخاطب ناقد اذ وصلت النيران اليه ثم اشتدت ودارت حول أصحابه وصارت كالسرادق المنصوب عليهم وهى دائرة بهم من كل مكان وتزاعقت الجن بأعلى أصواتهم وصار لهم نباح كنباح الكلاب ففزع كل من كان مع الامام وخافوا وأيقنوا بالهلاك ويئسوا من أنفسهم ومال الامام

رضى الله عنه إليها ومال بعضهم والتصقوا وامسكوا عن الكلام هذا والنيران قد خمدت بإذن الله تعالى فبينما هم كذلك وسمع مروع الوحوش الخطاف أصوات وضجات وهو من داخل الحصن حتى نظر إلى النيران وهى محاطة بالإمام وقومه فنادى الخطاف قومه وقال لهم كيف رأيتم نصر الاله المنيع لقد خاب من عاداه وخالف أمره ورضاه فدونكم الغنيمة الشاملة والمسرة الكامله أن تدركوا ابن أبى طالب قبل أن تلهبه فتأتوا به ذليلا حقيراً إلى الملك الهضام والاله المنيع فيحكم فيه بما يشاء ويختار وتكون لكم الخلع والأكرام والمراتب العظام على أسركم لهذا الغلام

(قال الراوى) فقال له رجل يسمى جندب بن عميرة الحميرى وكان رجلا مكنا شجاعا رزينا له بصيرة وعقل ورأى سديد يامروع الوحوش الزم فهو أصلح لك وقابل ابن أبى طالب وأنت فى حصنك فهو أيسر لك واعلم أن هذا ناره أعظم من هذه النار وسيف محمد يطفىء هذه النيران وأنا أعرف ما لا يعرفه غيرى أنا يخترق النيران فلما سمع الخطاف ذلك الكلام نهره وزجره وقال له اسكت لا أم لك إلا لقد صرت شيخا كبيرا ولا عقل لك ولا سكن معك سوى الخوف من ابن أبى طالب حتى صار ممتلئا به قلبك وظهر من بين عينيك يا ويلك أيغلب ابن أبى طالب إلهنا المنيع وجنده ويكذب رسوله فيما قال لنا وبعدنا بالمحال وأنى لا أعلم أن يأتيهم الصباح إلا وهم رماديا ويلك أما رأيت رسول المنيع كيف رفع الحصن على يديه حتى كدنا أن نخر على وجوهنا لولا تضرعنا إليه ولو أراد أن يقلب عليهم هذا الجبل لقلبه عليهم ولو أراد أن يخسف بهم الأرض لخسفها بهم قال له جندب أما أنا فقد نصحتك وحذرتك وما قلت لك إلا شفقة عليك وعلى من معك والمنيع يعلم ذلك منى وإن كان المنيع قد من علينا وجاد لنا بأموالهم فهو غير بخيل بما يعطينه ونحن فى حصننا وأنت الآن مالك أمرنا وأما أنا فلا أفارق مكانى لازما لموضعى إلى أن انظر ما يكون فقال له مروع الوحوش الخطاف كن مع النساء وعليك بالحرس ثم تركه ونزل مغضبا وقال لقومه دونكم وأعداكم فانحدر القوم مسرعين فلما خرجوا من الحصن أمر جندب بغلق الباب خلفهم وإيثاقه بالأقفال وقال لمن بقى معه فى الحصن انظروا لأنفسكم واحفظوا حصنكم فما أظن عدتم

تنظرون قومكم بعد هذا اليوم أبدا فهذا ما كان من عدو الله الخطاف وقومه وأما
ما كان من أمر الامام رضى الله عنه فإنه لما احتاطت به النار من كل جانب ومكان
نادى برفيع صوته يا معشر الجان بأى شيء تتعرضون وعلى تتوجهون وأنا عذابكم
النازل وسهمكم القاتل أنا أبو الزلازل أنا ابن عم الرسول الفاضل أنا البحر
الساكب أنا المذكور عند المعامع والمواهب أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين
على بن أبى طالب .

(قال الراوى) فاحترقت تلك النيران وأهلك أشخاصهم وقتل مردتهم فولوا
ناكسين ووصفوا إلى الرسم الذى رسمه أمير المؤمنين فلما وصلوا إليه تراجعوا عن
أصحاب الامام ولم يستطيعوا اليهم وصولا وصار الرسم حصنا بين الجان وبين
أصحاب الامام ولم يصبروا على ما طرقهم فخرج منهم ناس هاربين وإلى الامام
طالبين فما زالوا عن الرسم حتى كادوا أن يهلكوا ويحترقوا وكانوا سبعة أنفار
ومنهم جنبل بن وكيع وناقد بن الملك من اتباع رسول الله ﷺ فلما دارت بهم
النار وقابلوا الجان نادوا برفيع أصواتهم يا سيداه يا علياه يا محمداه يا رباه فلما
سمع الامام أصواتهم أسرع الامام اليهم وهجم عليهم فتسافر الجن عنهم يمينا وشمالا
عند وصول الامام فخلص الامام قومه وقال لهم ما حملكم على ذلك ولما خالفتم
أمرى فقال جنبل يا سيدى ضعف اليقين وصولة الجان فما هذا وقت ملام وكن
مخلصا لنا ولنفسك من هذه الأهوال فتبسم الامام ضاحكا من قولهم وهو غير مكترث

(قال الراوى) فبينما الامام كذلك إذ سمع صوت مروع الوحوش وهم
ينادون إلى أين يا ابن أبى طالب من عذاب المنيع الواصب لقد غرك الذى أرسلك
إلى المنيع أنا مروع الوحوش أنا الخطاف ثم تقدم إلى الامام وهو يظن أنه ظافر
به فقال على دونك فافعل بى ما أردت فظن عدو الله أن أمير المؤمنين قد أسلم
نفسه فقصد نحو الامام وهو يقول :

إذ خلد القوم بذل أسرهم	هذا على قـــد أتى بشره
وقومنا قد فزعوا من سحره	لأذيقه اليوم عذاب أسره

(قال الراوى) فلما سمع قوم الخطاف زاد اضطرابهم وكثر قلقهم ثم صاح

يعلو صوته لا يتداركنى أحد ولا يشاركنى فى ابن أبى طالب فسمع الامام وقومه ذلك من الخطاف وكان جهورى الصوت فلما سمع الامام وأصحابه ذلك ارتجفت قلوبهم وتقدم مروع الوحوش إلى الامام وهو يظن أنه فى قبضته فنظر اليه وهو كأنه سابقة ريح عظيم فلما نظر مروع الوحوش إلى الامام وهو على هذه الحالة اندهش وارتعش وقدم على خروجه من حصنه ثم أنه ألقى سلاحه من يده وقال يا ابن أبى طالب ابق على سيرك واحسن إلى بكرمك فتقدم الامام إلى مروع الوحوش وأوثقه كتافا بعمامته وأخذه أسيراً فما أخذ مروع الوحوش ولى أصحابه هاربين وإلى حصنهم طالبين وهم لا يصدقون بالنجاة فسلم الامام مروع الوحوش إلى جنبل وناقد ثم سار الامام نحو النيران وهو يقول يا شرجيل اسكنوا البرارى واستوطنوا خلاء القفار لئلا ترموا بالدمار من عندرب قادر قهار أنا على المرتضى الكرار وابن عم المصطفى المختار أنا على ولى الجبار مبيدكم بالحد والشفار ومحالكم بالويل والدمار فما أتم الامام كلامه حتى ولى الجن هاربين ووصل الامام إلى أصحابه فاستبشروا بقدومه فأقبلوا يسألونه عن الحالة وما كان فى ليلته وهو يحدثهم فبينما هم فى الحديث إذا سمع صراخ جنبل وناقد وهم ينادون يا أبا الحسن أدركنا قبل أن تتركنا فلما وصل الامام إلى ناقد وجنبل وجدهما يبكيان فقال لهما الامام ما هذا البكاء وقت الفرج فقال ناقد ياسيدى لما عمتنا الأهوال واشغلتنا عن مروع الوحوش بأنفسنا حل الخطاف وثاقه وفرهاربا الى حال سبيله فلما سمع الامام ذلك صعب عليه وكبر لديه ثم قال لا بأس عليكم طيبوا خواطركم فو الذى بعث ابن عمى بالحق بشيرا ونذيرا لأورينكم فيه مايسركم وأنا أعلم أنه لاملجأ لعدو الله غير حصنه فيا قوم أن الله سبحانه وتعالى قد كشف عنكم ما كنتم فانهضوا الى أصحابكم واخوانكم ولا تزولوا عن أماكنكم الى الصباح فإنى متتبع أثر القوم وصاحبكم الخطاف فإن صبح الصباح ولم آت لكم فاقصدوا أنتم الى الحصن فتجدونى فيه فسار الامام الى أن وصل الى الحصن فرأى القوم على أعلى الحصن وقد شعلوا نيرانهم فرآهم الامام فى ضوء النار وهم لا يرونه وقد وصل القوم المنهزمون الى الحصن وهم تحت الذلة فبينما هم كذلك تقدم الامام رضى الله تعالى

تعالى عنه الى قريب من الباب والمنهزمون ينادون لجندب بن عميرة الباهلى ويقولون افتح لنا الباب فلما فتح تقدم الامام واختلط بالقوم وصار من جملتهم ودخل القوم يكرشون بعضهم بعضا وهم لا يصدقون بنجاة أنفسهم فدخل وجلس وهو قابض على سيفه فلما تكامل القوم فى الحصن أغلقوا بابه ووقفوا فى أزقة فأقبل عليهم الذين كانوا فى الحصن وقالوا يا ويلكم ما الذى نزل بكم فأخبروهم بالذى جرى لهم مع الامام فلما سمع القوم ذلك ذهبت أفراحهم وقال بعضهم لبعض ان انسانا وحده يغلب لمنيع وجيشه فقال جندب ابن عميرة ياويلكم أما سمعتونى وأنا أنصح صاحبنا مروع الوحوش فانى النصح فياقوم وحق المنيع ان كانت يد ابن أبي طالب علقت بصاحبنا الخطاف فهو مخلص روحه من جسده فقال جندب يا قوم اذا أتاكم الى الحصن فاسألوه وأنتم فى الحصن الأمان فإنه يأمنكم ولايخونكم وهو كريم .

(قال الراوى) فوثب الامام قائما فى وسطهم وزعق بهم وقال ها أنا قدجئتكم ووصلت اليكم ها أنا ممزق الكتائب ها أنا ليث بنى غالب ها أنا أمير المؤمنين على بن أبي طالب فلما سمع القوم ذلك من الامام انقطعوا عن الكلام فقال له جندب الحميرى يا ابن أبي طالب أنت من السماء نزلت ام من الأرض خرجت ام الباب دخلت فقال لهم من الباب دخلت فلا يخلو امركم من كلمتين اما ان تقولوا نشهد ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله واما ان تقولوا لا وتموتون جميعا .

(قال الراوى) فلما سمع القوم مقالته نظر بعضهم الى بعض فقال جندب يا ابن أبي طالب أنى قد أسرت على قومى بذلك فأبوا أما أنا أشهد أن لاإله إلاالله وأن محمدا رسول الله آمنت بالله ورسوله ثم التفت إلى قومه وقال يا قوم مايقعدكم عن رشدكم فنادى القوم عن لسان واحد قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما سمع الامام رضى الله تعالى عنه منهم ذلك شكرهم وجزاهم خيرا وفرح بإسلامهم فرحا شديدا ثم قال لهم يا قوم لايتم إسلامكم ولا يكمل ايمانكم حتى تقاتلوا أباءكم وإخوانكم وعشيرتكم فإن قتالهم فرضا عليكم فقالوا بأجمعهم يا ابن عم رسول الله إنا نقاتل معك وبين يديك حتى نرضيك ونرضى الله ورسوله

فجزاهم الامام على ذلك خيرا وقال الحمد لله الذى جعلكم من أهل الأيمان وحقق دماءكم ثم التفت الامام إلى القوم وقال لهم يا قوم إن عدو الله الخطاف قد خفى أمره فهل عندكم منه خبر فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين لم يكن فى الحصن غير الرغدا بنت الخطاف وهى بمنزلها ونحن نخشى سطوتها إلا أنها أشد من أبيها وهى من الجبابرة ونسل العمالقة من بنات حمير وقد اعتادت ركوب الخيل وخوض الفرسان فى الليل ولقاء الرجال وقتال الأبطال على جسورة على القتال يحذر مكانها الفرسان فعند ذلك تبسم الامام ضاحكا وقال أنى لا أفزع ممن تهابه الأبطال فكيف بذوات الحجال امضوا اليها وأتونى بها لأمضى أمرى معها فقالوا أيها الأمير ما للنساء إلا النساء. فقال الامام بل يمضى اليها جميع النساء. وهم يقولون بأجمعهم لا إله إلا الله محمد رسول الله فإذا سألتهن عن ذلك يخبرها بخبرى وما جرى لهم معى فطلعت النساء من وقتهم وساعتهم إلى دار الخطاف وهن يقلن لا إله إلا الله محمد رسول الله فأشرفت عليهن الرغداء. من منظرتها وليس عندها خبر بإسلامهن فقالت لهن ياويلكن ما هذا الكلام الذى لم اسمعه أبدا منذ ملكت عقلى ثم نزلت لهن فقلن لها يا رغداء إن كنت نائمة فاستيقظى فإن الحصن قد ملك فقالت من ملكه فقالوا لها على بن أبى طالب فقلن لها هو فى الحصن فقالت وأين أبى الخطاف فقلن أسره وانفلت من يده بعد الأسر فلا ندرى أين سار وقد أسلم كل من فى الحصن وهو يدعوك إليه لتدخلى فى دينه فلما سمعت الرغداء منهم ذلك فارت بالغضب ثم كتمت غيظها سرا وقالت أين يكون الغلام الذى ذكرتموه فقلنا لها ها هو فى أقصى الحصن يبايع الرجال فقالت لهن على رسلكن حتى أسير معكن ثم دخلت منزلها وأخذت خنجرها فشدته فى وسطها من تحت ثوبها وأضمرت الشر لأمير المؤمنين .

وقالت فى نفسها إن وصلت اليه لم أبق عليه وأقبل النساء على أمير المؤمنين وهى معهن وقد تأخرت عن النساء. لتنظر كيف يبايعهن ويكون ذلك أمكن لها من الامام ثم أن على لما هم أن يأخذ البيعة على الرجال والنساء. فإذا هو بباب الحصن يطرق طرقا خفيفا فقال الامام انظروا من الطارق وشرف بعضهم من

أعلى الحصن ونظر من يكون خارج الباب فإذا هو الخطاف وهو يقول افتحوا يا ويلكن قبل أن تدنو من صاحبكم الذهاب فقالوا من أنت قال أنا الخطاف .

(قال الراوى) فأقبل القوم على الامام فأخبروه بقدوم صاحبهم فقال افتحوا له الباب وادخلوه ولا تمدوا إليه يدا بسوء ولا تكشفوا له عن مكانى ولا تخبروه بشأنى فبادروا اليه مسرعين وفتحوا له الباب فوجدوه على آخر رمق من تعسعسه فى الظلام بين الدكادك والآجام فلما نظروه قالوا ما الذى دهاك أيها السيد وما الذى نزل بك فلم يجبهم ولم يرد عليهم أى جواب ولم يبدلهم أى خطاب دون أن دخل مسرعا وقال يا ويلكم اغلقوا الباب واوثقوه بالسلاسل والأقفال فقالوا أيها السيد وأين تركت ابن أبى طالب قال تركته وقد شغله عنى وعنكم جند المنيع فازدادوا عجبا ثم قال يا قوم لا تكثروا على مهلا حتى أدخل ويرد على عقلى فدخل الحصن فانتظر القـــوم ما يكون منه مع الامام ثم التفت بعض القوم إلى الرغداء بنت الخطاف وقالوا لها يا رغداء ان أباك يكاد يبدو منه شر إلى على ابن أبى طالب فيكون وبالة عليك واعلمى يا رغداء أن هذا الرجل لا يطلق مر المذاق ولقد سمعت ما صنع بأبيك وكيف هزم جند المنيع ولم يكبر عليه وكيف هجم عليهم وملك حصننا منا فقالت الرغداء وما عسى أن أصنع فى هذا فإذا بالاله المنيع وجنده عجزوا عنه وعجز عنه الأبطال من الرجال والنساء عجزوا عجزا .

(قال الراوى) ثم تركتهم وتقدمت إلى قرب الامام وهى قابضة على خنجرها وأسبلت عليه ثيابها وأضمرت أنها تحول بين الامام وبين أبيها وأن لا تدع الامام أن يصل إلى أبيها وهى واقفة ترتعد من شدة الغيظ فبينما هى كذلك إذ أقبل أبوها والقوم فى أثره حتى وصلوا به إلى المكان الذى فيه الامام والمصابيح تزهو حوله وهو يحدثهم بحديث الامام وغرائبـــه إذ نظر فرأى الامام جاثما كجثوم الأسد الضرغام فحقق الخطاف نظره فرأى الامام فعرفه فجعل كلما ينظر اليـه فرآه يمسح عينيه ويعيد النظر اليه فتحققه فلما عرفه توقف عن المسير ووقعت الدهشة به وعاد يرتعد كالسعفة ثم التفت الى القوم وقال من هذا الرجل الذى هو جالس فقالوا له أيها السيد من معارفك وهو مشتاق الى لقائك فعند ذلك وثب اليه على

من مكانه وثبة الأسد إذا عاين فريسته وقال له أنا من لا تنكرنى إذا عرفت ياسمى أنا غريمك ومشتاق إلى لقائك أنا ممزق الكتائب أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

(قال الراوى) فلما سمع الخطاف كلام على خرس لسانه وبطلت حركته فهم على بسيفه وقال له ما ينجيك من سيفى هذا إلا قول لا إله إلا الله محمدا رسول الله فعند ذلك تقدمت إبلته إلى على وأرادت أن تمنعه عن أبيها فنظر اليها أبوها طمعا فى أن تحميه من الامام لما يعلم من شدتها وشجاعتها وقوتها فنظر اليها وصرخ عليها صرخته المعروفة فأرعشها وأدهشها بصرخته فارتعشت واضطربت وكادت أن تسقط إلى الأرض فوقع الخنجر من يدها فاستغاثت بعلى وقالت إنى أعوذ برضاك من سخطك يا أبا الحسن أنى امرأة ضعيفة العقل وأخذنى بما يأخذ الأولاد على والدهم من الشفقة وأنى سمعت ممن رأى إليكم يقول أنكم شفعاء إلى رب السماء والأرض والمنقذون لمن ينزل به الويل والبلاء . مهلا فلا تعجل بالنقمة فسمع الامام كلامها فتبسم ضاحكا وزال عنه الغيظ وقال الأمر كذلك إنا عفونا عنك فقالت الرغداء يا ابن عم رسول الله أنتم أهل الجود والكرم وحياتك إن حياتك عندى صارت قسما عظيم فامدد يدك فإنى قائلة أشهد أن لا إله إلا الله محمدا رسول الله وأنت ولى الله وسيفه ونقمته على أعدائه فاندر لذلك وأما الخطاف فإنه حين أسلمت بنته الرغداء وعاين ذلك منها التفت اليها وقال لها لانجوت من البنات ولا بلغت من المسرات فقال على رضى الله عنـــه يا عدو الله وعدو نفسك انظر إلى نفسك وحال ابنتك وتوطأ فى مجلسك فلست أعجل اليك ولا أترك لله حجة إلا وأوضحها لديك فالحق كلمك بكلمتهم يكن لك الذى لنا وعليك الذى علينا .

(قال الراوى) فالتفت الخطاف إلى قومه وقال لهم ما تكون كلمتهم فقالوا له أنا قلنا جميعا رجالا ونساء كبارا وصغارا لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال الخطاف يا ابن أبى طالب أنى أريد أن تريحنى من النظر اليك فإنى أكره ذلك فقال الامام ولم ذلك يا ملعون يا عدو الله وعدو نفسك قال لأنى لا أشهد لك ولابن عمك إلا بالسحر والكهانة فعند ذلك غضب الامام غضبا شديدا وبادره بضربة

فوقعت على أم رأسه فعند ذلك اطمأنت الناس وآمنوا فعند ذلك قال يا معشر المسلمين إنى تركت أصحابى وأريدأن أمضى إليهم أبشرهم بمامن الله به علينا من فتح هذا الحصن وقتل عدو الله الخطاف فعند ذلك قال القوم يا ابن عم رسول الله ﷺ ابعث من تختاره منا اليهم يؤمنهم ويبشرهم ثم أن على دعا رجلا منهم يقال له جابر ابن عقيم الباهلى ليبعثه فقال لبيك يا أمير المؤمنين أنى أمضى فى حاجتك وأبادر إلى مرادك فشكره على وجازاه خيرا ودعا له ثم قال يا جابر خذ خاتمى معك وانطلق إلى أصحابى وأقرؤهم السلام وبشرهم بما من الله علينا من الفتح والنصر وأمرهم بالمسير معك الينا فى مكاننا هذا ثم قال اسرع بما أمرتك به بارك الله فيك فخرج جابر بن عقيم إلى أمر الامام فلما وصل اليهم ناداهم جابر فقالوا من أنت فقال أنا جابر بن عقيم الباهلى أرسلنى اليكم أمير المؤمنين فقالوا يا جابر أين تركت الأمام فقال لهم فى الحصن والقوم حوله بعد أن ملكه وأسلت الرغداء بنت الخطاف وجميع النساء فلما سمع أصحاب الامام ذلك كبروا ثم ظهر لهم تكبير الفرح وفرحوا به فأمرهم بالمسير فساروا إلى أن أقبلوا على الحصن فنزل اليهم جميع من بالحصن فاستقبلهم الامام وسلم عليهم وعانق بعضهم بعضا وفرحوا باسلامه فلما اختلط الظلام دعا بجابر ابن عقيم وأمره على مائة رجل يأمرهم بحفظ الغنائم وأمر القوم كلهم بالمسير معه فقالوا سمعا وطاعة يا ابن عم رسول الله ثم أخذوا فى إصلاح شأنه وجهزوا سلاحهم وتقلدوا بسيوفهم وأتوا إلى الأمام فهم بالمسير ثم سار الامام رضى الله عنه هو وأصحابه إلى صحن الصخرة وقد طاب له المسير فالتفت إلى القوم وقال يا معشر الناس إن أمرنا قدشاع فى الحصون ولا بدأن تأتينا الجيوش فهل فيكم من يأخذ لنا خبر الطريق ويسأل للسالكين عن منتهى وحقيقة الاخبار فكان قول من تقدم إلى الامام ناقد بن الملك فقال أمير المؤمنين أنا لى ماذكرت مسارع وتقدمت اليه الرغداء بنت الخطاف وقالت يا ابن عم رسول الله أن البلاد بلادنا ونحن أعرف الناس بها وشجاعتى تعرفها الشجعان وإذا أردت أن ترسلنى مع من تريد فافعل ثم انتخب لها الامام عشرة

وأمر عليهم ناقد بن الملك فسار ناقد فلما وصل إلى الحصن وجد أهله قد تأهبوا وعزموا على القتال فرجع ناقد ومن معه فلما وصل إلى الامام سأله عن الحال فقال ناقد يا أمير المؤمنين أن القوم تحصنوا فى حصنهم وعزموا على الحرب وتأهبوا للقتال فانظر ياسيدى ما أنت له صانع فقال الامام إذا أراد الله سبحانه وتعالى بفتحه تهدمت أركانه قال ناقد يا أمير المؤمنين أن فى الحصن رجل شديد القوة كثير الأذى واحذرك أن يأتيك من أذيته شىء فتبسم الامام وقال يا ناقد سر ثم سار ناقد وأصحابه إلى أن وصلوا إلى الحصن فلما نظر الامام إلى مكنته وعلوه وارتفاعه قال اللهم سهل علينا فتحه ثم أن الامام فرق عساكره كتائب ليكون هذا أهيب فى قلوب المشركين لابهام كثرة جيوشه .

فلما رأوا ذلك ارتجفت قلوب القوم الذين هم داخل الحصن وقالوا لبعضهم ما أكثر هؤلاء القوم فبينما هم كذلك إذا أشرف أمير المؤمنين بجميع أصحابه فكبروا ونزلوا ولم يتعرضوا للقوم فما استقر الامام فى مكانه حتى أشرف عليهم من الحصن رجل كأنه قطعة من جبل لهوله وعظمه فلما نظره الامام استعظم خلقته وقال تبارك الخلاق العظيم ثم أقبل الامام إلى ناقد وقال له أتعرف هذا الرجل المهول فقال ناقد يا ابن عم الرسول ﷺ هذا صاحب الحصن وهو مصاهر لنا وهو زوج ابنة أبينا ومن خوف أبى منه دفع اليه ابنته بغير مهر معجل ولا مؤجل فبينما الامام يسمع كلام ناقد إذا سمع صراخ عدو الله من أعلى الحصن وهو كأنه الرعد القاصف والريح العاصف وهو يناديه يا معشر الجهال وعصابة الأرذال ارحلوا بأنفسكم غانمين وبأرواحكم سالمين .

فلما سمع الامام مقالته غضب غضبا شديدا فوثب من مكانه وأفرغ عليه لامة حربه وقبض على سيفه وجحفته وقدم الرعاة الذين هم معه وهم نحو مائتى رام وانفذ لكل جهة من جهات الحصن وأقرنهم بأمثالهم من الرجال الذين هم بالدورق لكل رجل رام رجل يلق بدرقته عنه ومال الامام بمن معه إلى ناحية الباب وقدم أصحابه إلى القتال فتحاربوا بالأحجار فرمى المشركون بالصخور الكبار ورمى

الرماه بالنبال فلما نظر الامام ذلك عظم عليه فتقدم بنفسه إلى الباب وعدو الله يرمى بالأحجار والصخور وجعل الامام كلما وصل اليه حجر تلقاه بدرقته وأرخاه متباعدا عنه وما زال القتال بين الفريقين إلى وقت العصر فعطف الامام بأصحابه وقال حسبكم من القتال فتراجع الناس إلى أماكنهم وعدو الله وأصحابه يعطفون ويهزئون بهم فعظم ذلك على الامام وبات الفريقان يتحارسان وأضربت النار وتولى الامام حرس أصحابه بنفسه خوفا عليهم فبينما هم كذلك وإذا بشخص قد ظهر فى الطريق فتأمله فنزل الامام عن جواده وأتى إلى صخرة وجلس مختفيا وراءها حتى وصل اليه ذلك الشخص وصار محاذيا له فوثب اليه الامام وأمسكه من رجله ورماه إلى الأرض فقال ذلك الشخص للامام من أنت الذى أوهنت عظامى فقال الامام أنا ليث بنى غالب أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

فلما سمع الشخص باسم على خرس لسانه فلم تكن إلا ساعة والامام واقف على رأسه حتى ردت اليه روحه وفتح عينه وقال يا ابن أبى طالب سألتك بحق ابن عمك أن تبق على وتحسن إلى بكرمك فقد كنت أتقيك واحذرك قبل أن أراك فعند ذلك عفا عنه الامام وأوثقه كتافا وأخذه إلى عسكره فحل وثاقه وقال له ياهذا قل الصدق تنج وإياك أن تقول غيره فتهلك فقال الشخص يا ابن أبى طالب أما قولى فصدق وهو الحق أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن ابن عمك رسول الله والآن خذ حذرك فإذا أتاك عسكر جرار وهم عشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس يتقدمهم بطل مقدم العشرة آلاف وهو غنام بن الملك الهضام أنه لما وصلت اليه أخبارك وما فعلت فى حصونه أراد أن يأتى اليك بنفسه فاقسم عليه ولده غنام بقوة المنيع أنه يأتى ويقبض عليك ويوصلك اليه حقيرا ذليلا أسيرا فتبسم الامام ضاحكا من قوله وقال له ما إسمك يا هذا قال إسمى القداح بن واثلة فقال له يا قداح أريد منك أن تمضى اليهم فى هذا الليل وتجعل لى طريقا معك توصلنى اليهم فقال القداح إذا وصلت اليهم يا مولاى ما الذى يكون فقال الامام افتح الحصن واقتل عدو الله كنعان على يديك فقال القداح إن كنت نائم فاستيقظ فان الذى قلته بعيد (قال الراوى) فوثب اليه ناقد بن

الملك على القداح ونهره وقال له لا أم لك أعرف مكانك واعلم من تكلم فهذا تكلمه فارس الفرسان هذا ليث بنى غالب على ابن أبى طالب فاقصر من كلامك وإلا رميتك بهذا السيف فجزع مما سمع وأخذته الرعشة والدهشة من كلام ناقد وغيره فقال الامام ياقداح قد وجب عليك الجهاد فى سبيل الله فان أردت يمحو الله ماسلف من ذنبك فهب نفسك لله ومرضاته فى هذه الليلة

فقال القداح إنى أخاف من القتل وورائى أطفال وليس لهم قريب ولا حبيب ولى أم عجوز كبيرة فإذا قتلت فمن يكون لهم بعدى فقال له الامام لهم الذى خلقهم ورزقهم عليه وأنا أضمن لك من الله السلامة فإنه على مايشاء قدير ثم أخذ الامام مطيته من أصحابه وأقبل عليهم وقال أرحلوا راجعين على أعقابكم فاذا سمعتم التكبير فاطلقوا عنه الخيل وأتونى مسرعين فارتحل القوم من وقتهم وساعتهم فقام الامام ركب مطيته وقال القداح اركب مطيتك فركب القداح وسار والامام معه إلى أن وصل إلى باب الحصن وأحس بهم أهل الحصن فنادى كنعان من الطارق لنا فى الليل الغاسق فجاوبه القداح وقال أيها السيد العظيم أنا رسول الله بشارة كنعان وقال لعلك ياقداح جئت من عند ذلك قال نعم أنه قد أتاك أنه فى عشر آلاف فارس فنزل كنعان بنفسه إلى الباب ليفتحه القداح ونزل معه جماعة من قومه وقد امتلأت قلوبهم بالفرح والسرور فتقدم الامام إلى الباب وترك القداح وراءه لأنه سمع حس المفاتيح عند افتتاحها فقبض بسيفه وطال وقوفه على الباب فلم يفتح وكان السبب فى ذلك أنه لما وصل عدو الله إلى الباب ومن معه وأراد أن يفتحه بنفسه من شدة الفرح ظهر له إبليس

فلما نظر القوم شخصوا نحوه وذهلوا من منظره فأتى إلى كنعان وأخذ المفاتيح من يده وولى راجعا وأشار القوم أن يتبعوه إلى الحصن فلحقوا فى أثره

فلما بعد عن الباب قال ياويلكم أنا رسول المنيع جئت اليكم لأنظر ماذا تصنعون بأنفسكم حيث أردتم أن تسلموا حصنكم إلى على ابن أبى طالب بلا قتال ولا نزال فقال كنعان أيها الرسول الكريم وأين على بن أبى طالب فقال هاهو واقف على الباب مع القداح وصار القداح من حزبه ومن أهل دينه وقد ساقه اليكم

ليهجم عليكم فاندهش القوم من ذلك (قال الراوى) فلم يشعر الامام حتى نزلوا عن يمين الباب ومن شماله وبأيديهم السيوف والجحف وجعلوا يتصارخوا بالامام فأخذ عليهم الامام محاذيا إلى الباب فلم يترك أحدا منهم يخرج اليه وناداهم بعلو صوته يا معشر اللئام لقد أخطاكم الأمل فأنا على بن أبى طالب قاطع الأجل فوثب اللعين كنعاز وعدو الله مداعس ومن معهم وكان كنعان معه جحفة فنجية وهو واثق بجحفته وقوة ساعده فتقدم إلى الامام بضربة شديدة فأخذها الامام على جحفته ثم عطف عليه الامام وضربه بسيفه فتلقاها عدو الله بجحفته فقطع السيف فلما وصل اليه من الجحفة ورماها ولو ملكته لأهلكته وكان كنعان واثقا بها متمسكا منها

فلما رأى عدو الله كنعان ذلك من الامام أقبل على قومه وقال ياويلكم ادفعوه حتى يبعد عن الباب إلى الخلا ليتسع عليكم الفضاء وتملكوا أنفسكم فطلع من كان من داخل الحصن على أعلى الصور وأرسلوا عليه الصخور والجنادل من أعلى الباب فتوالت عليه كالمطر فتأخر الامام عن الباب لهول ما لحقه

(قال الراوى) فعند ذلك لحق الامام فرحا شديد حيث خرج عدو الله وخرج والده كنعان فى أثره ومن كان معه من الرجال ولم يبق فى الحصن إلا قليل ثم أمر اللعين كنعان بغلق الحصن وإيثاقه من وراء القوم ثم نادى الامام برفيع صوته يا شرجيل دونكم والقتال فان شئتم فواحد لواحد وإن شئتم فكلكم لواحد فهو الذى بعث ابن عمى محمدا رسول الله ﷺ بالحق بشيرا ونذيرا ما أنا براجع عنكم حتى أشبع الوحوش والطيور من لحومكم الخبيثة وأنا واحد وأثق بواحد فهو على ما يشاء قدير أما تعرفوا أنا ممزق الكتائب ليث بنى غالب أمير المؤمنين على ابن أبى طالب فقال له كنعان لولا يكون عار لهجمنا عليك وإنما يبرز اليك واحد منا قال الامام رضى الله عنه يا عدو الله ورسوله وعدو نفسك افعل ما بدالك وما تريد (قال الراوى) فعند ذلك تقدم رجل من المشركين يقال له سباع إلى عدو الله كنعان وقال أيها السيد أنت تجود لى بلبسة وما عليها من الثياب والعدة والسلاح وأنا آتيك به أسير ذليلا حقيرا فقال كنعان لك ذلك يا سباع وحق

المنيع الاله الرفيع لئن أتيتنى بابن أبى طالب لازيدنك على الذى قلته بأكثر فعند ذلك خرج سبـاع من بين المشركين فرحا مسرورا وظن أنه يغلب الامام ويأسره وجعل يرتجز وينشد ويقول

ألق سلاحك يا غلام وآتنى — من قبل أن تردى بحد حسامى

(قال الراوى) فلما سمع الامام ما قاله سباع تبسم ضاحكا وقال ها أنا مقبل اليك وواقف لديك فقال له أسرع لنحوى فجاء الامام إلى نحوه فظن عدو الله السباع أن الامام سلم نفسه حتى يأسره فتقدم سباع اليه وهو يظن أنه قادر عليه فلما قرب عدو الله سبـاع وثب اليه الامام كأنه الأسـد إذا عاين فريسته وضربه ضربة على رأسه بالسيف فشقه السيف نصفين ونزل عدو الله إلى الأرض قطعتين فعند ذلك التفت الامام إلى كنعان وقال له يا عدو الله وعدو نفسك دونك والقتـال فقد مضى صاحبك إلى النار وبئس القرار فلما رأى مداعس بن كنعان ذلك من الامام تقدم اليه وجعل ينشد ويقول .

أنا الفتى المشهور فى الفـوارس — أنا الهـام الضيغم المداعس
أنا ابن كنعان المسمى يا فتى — أنا مبيد البطـل المحارس
أنا الذى أحيا ليوم كريهة — وخائض الغمرات فى الغلامس

(قال الراوى) فلما سمع الامام كلام مداعس تبسم ضاحكا وقال يا ابن كنعان دونك والضرب والطعان فانطلق اليه ومال نحوه فلما أتاه وثب اليه الامام وثبته المعروفة فوصل بها اليه وقبض بكلتا يديه ثم ضم الجواد اليه ليقلبه عليه فايقن مداعس بالهلاك وأخذه الارتباك فصاح من شدة ما أصابه يا ابن أبى طالب بحق ابن عمك إلا ما أبقيت على وأحسنت بكرمك إلى فمد الأيام يده وقبض عليه من سرجه وأمسك رأسه وأوثقه كتافا بعمامته وقاده وفرسه إلى صخرة هناك ورماه ثم ركب جواده وتقدم على مهل من غير طيش ولا عجل إلى أن أتى إلى القـوم وقال يا نسل اللئام هل فيكم من يبرز إلى القتال ويبادر النزال فناداه يا ابن أبى طالب كن مكانك فانى قاصد اليك وهاجم عليكم ثم برز عدو الله كنعان وكان نسيم السحة وبدت غرة القمر مع أنه كان فى آخر الشهر فنظر الامام إلى

كنعان وهو كأنه الليث الجحود وهو راكب على برزون أشهب من البرازين العظام مهول لعظم خلقته .

فلما تقاربا نادى عدو الله كنعان يا ابن أبي طالب وطات ولدى مداعس فقال على قد كان ذلك وأنت الآخر إن شاء الله تعالى من بعده فقال كنعان فتلته أم لا قال له الامام أنما هو بقبضتى أسير فقال كنعانى يا ابن أبي طالب لو كنت ما أبقيت عليه ما أبقيت عليك ولقد كنت أضمرت انى لأمتعك بالحياة بعد طرفة عين واعلم يا ابن أبي طالب أنه مامن مخلوق على وجه الأرض بقدر على وليس له طاقة بى فأسلم نفسك قبل أن ينزل بك أسفار ويحرقك الاله المنيع بالنار فلما سمع الامام ذلك حمل عليه وضربه بجحفته على رأسه فنزل هاويا إلى الأرض مغشيا عليه وقد اندق منخره فى الأرض فبرك عليه كأنه الأسد وواثقه كتافاثم تركه على حاله وعمد إلى القوم فكان يقول للرجل قل لا إله إلا الله محمد رسول الله وإلا قطعت رأسك بهذا الحسام فمن أطاعه تركه ومن خالفه هلك فعند ما رأى القوم ذلك من الامام تصايحوا الامان يا ابن أبي طالب وأشرف من كان فى أعلى الحصن من الرجال والنساء على قوم الامام وقالوا لهم أنا نسألكم أن تأمنوا من أميركم هذا ونحن مطيعون له فيما يأمر به ففرح أصحاب الامام بذلك وزال عنهم الحزن والقلق وسمعوا الامام يقول يا قوم لا أمان لكم عندى حتى يكتف بعضكم بعضا فلما سمعوا ذلك أقبلوا على بعضهم وأوثقوا أنفسهم عن آخرهم وأقبلوا اليه أسارى فجمع أسلحتهم عنده ولم يبق فى الحصن معاند ولا منازع غير النساء وهن خائفات وجلات مذعورات لما رأوا من الامام وهالهن ذلك ثم أن الامام أمر من كان أسلم فى القتال أن يمضى إلى النساء وإن يوثقهم كتافا فمضى اليهن جماعة ففعلوا ذلك ثم أن الامام أقبل على عدو الله كنعان وكان قد أفاق من غشيته وهز السيف فى وجهه فقال يا ابن أبي طالب قل لى ما أنت طالب وعليه عازم فقال له الامام يا كنعان قل لا إله إلا الله محمد رسول الله تكن لنا ولك السعادة والنجاح وإياك أن تنكرها فيحل بك البلاء الفضاح وتخرج روحك من جسدك كخفة البرق إذا لاح فقال يا ابن أبي طالب ومن

ومن ينقذنى من نار المنيع وسطوته فقال له الامام يا ويلك ان المنيع قد ولى زمانه وحان هوانه وأتى بواره وقرب دماره فلم يمهله الامام وقد اشتد به الغضب دون أن يضربه ضربة هاشمية محمدية فوقعت الضربة على عاتقه الأيمن فخرج السيف من تحت أبطه الايسر فوقع عدو الله قطعتين كأنه الصخرة إذا وقعت أو الجبل إذا قطع ثم أن على أخذ رأس عدو الله كنعان وأقبل بها إلى الباب ففتحه وظهر بها إلى القوم فوجدهم قد أفنوا من عندهم من المشركين ولم يبق إلا من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وصنما وقنهم وطاب عيشهم فى انتظار أن يخرج اليهم الامام عدو الله ورأس كنعان فى يده وفرحوا ثم أن على قال لهم يا قوم أين مداعس ابن كنعان فأقبلت اليه الرغداء بنت الخطاف وقالت يا سيدى أنه لحق بأبيه إلى النار وبئس القرار فشكرها على ذلك وجازاها خيرا ثم أن على أمر القوم بدخول الحصن فدخلوا والامام فى أوائلهم وهو يقول فتح الله ونصر وخذل من كفر ثم بعد ذلك أمرهم بإحضار الأسارى فأحضروا بين يديه فأمر بحل كتافهم فحلوهم .

(قال الراوى) ثم أن على أراد أن يرتحل من ذلك الحصن فأقبل عليه ناقد ابن الملك وقال يا ابن عم رسول الله أنى أريد أن أسألك عن أمر فإن كان فيه معصية فإنى أتوب إلى الله سبحانه وتعالى منه وإن كان فيه سماح فاسمح لى فيه فقال له الامام وما ذاك يا ناقد فقال يا أبا الحسن روحى لك الفدا إن لى فى الماء سورات من النساء التى هن فى الحصن مأسورة آلمنى أسرها وماهى إلا من بنات الملوك والعز والدلال كانت مقيمة تحت ذى الضلال وهى بنت أمى وأبى أعز الخلق عندى ان الولد مولود والبعل موجود والأخ مفقود وهممت أن أخاطبها لأدعوها إلى ما دعوتنا اليه من هذا الدين البهى والاسلام النقى فإن أردت أن تأذن لى فى ذلك فالأمر اليك فقد كبر على والله ما نزل بها فعند ذلك تغرغرت عين على بالدموع وقال يا ناقد امض اليها فأنت أملك بها وأحق فتلطف بها وشوقها إلى الاسلام وعبادة الملك العلام فخرج ناقد من القوم وسار إلى أخته وكانت اسمها عاليا فلما قبل عليها وهى فى جملة المأسورات صعب عليه ذلك فعزت عليه فأمسك عن السلام فلما نظرته أخته من بين المأسورات بكت واشتكت وتنهدت وقالت يا أخى تنسانى فى مثل هذا الوقت

فتركنى مطروحة بين الأسارى وما عرفت منك الجفاء منذ حياتى فعرفنى يا أخى ما أنت عليه حتى أتبعك ولو كان فيه ذهاب روحى .

(قال الراوى) فلما سمع ناقد كلام أخته عليا سبقته العبرات فبكى وقال لها يا أختى إن شئت يا بنت أمى وأبى أن تسرينى بإسلامك وتقرى بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة وإن أبيت فهذا فراق بينى و بينك فلما سمعت عليا مقالة أخيها قالت يا أخى فقدت عينى أن كرهت مفارقتك وأنا مسرورة بطاعتك وأننى قائلة بمقالتك أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فعانقها ناقد وضمها إلى صدره وفرح بإسلامها ثم عرض الاسلام على النساء التى معها فأسلمت ففرح ناقد فرحا شديداً ثم مضى إلى على وأخبره بذلك ففرح بإسلامهن وأقرهم الجميع فى منازلهم واجتمعوا على الاسلام بعد الاجتماع على الكفر وفرحوا فرحا شديدا ما عليه من مزيد ثم أن على ضم الغنائم إلى الحصن وأمر على الحصن أميرا وأوصاهم بحفظه وحفظ أنفسهم إلى أن يأتيهم ثم أرسل رجلا ينظر خبر الجيش الآتى مع ابن الملك الهضام فسار الرجل بعيد ثم رجع إلى على رضى الله عنه وأخبره أن القوم وابن الملك قد أتوا إليه وزحفوا عليه وهو فى عشرة آلاف فارس ليبوث عوابس قد انتخبهم من مائة ألف فارس فقال على نلقاهم قبل أن يلقونا فإن ذلك أهيب لنا والله المعين ينصر من يشاء من عباده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم ارتحل من وقته وساعته وسار بعد أن بلغه الله ما أمله ثم سار بالقوم مؤيداً منصورا فما بعد عن الحصون غير ميل أو أزيد حتى لاح له غبار سد الاقطار فالتفت الامام إلى أصحابه وقال لهم يا قوم انى أرى غبارا عاكرا ولا شك أنه غبار القوم وأنى أرى أن نكشف عنهم الأخبار فما أنتم قائلون فقال ناقد يا ابن عم الرسول ﷺ إن الماء من وراءك والذى أراه من الرأى أن ترجع بالقوم إلى المكان الذى كنا فيه من غير فرار ولا جزع فنكون من ذلك على حالتين أحدهما كثرة الماء وسعة الفضاء والثانية تجمع الرجال والأثقال وجميع ما معك وتدخله الحصن وتخرج للقوم مجردا بلا عائق وهذا الذى أراه ورائك أعلى ووافق فقال له أرشدك الله يا ناقد ووفقك إلى الخير ثم قال للقــــوم ارجعوا بنا على بركة الله وحسن عونه

وتوفيقه فرجع القوم الى حصن الصخر وأدخلوا رجالهم وثقالهم وجميع مامعهم
ونادى على يا معشر الناس من علم من نفسه تقصيرا وخاف من جواده او كان له
عذر يمنعه من القتال فليجلس فى هذا الحصن فن يحل فيه ما عليه ملام فلقد أتانا
فوارس وأبطال فتتلقاهم ببوادر النزال ثم ان على طاف على القوم يتفقدهم رجلا
رجلا فكان لا يمر بشيخ ولا طفل ولا أحد ممن لا يقدر على القتال إلا أدخله
الحصن فما زال كذلك الى أن مر بالقداح بن واثلة وقد اشتد وتحزم وأخذ فى الصلاح
فلما نظر على فتبسم ضاحكا وقال له يا قداح عليك بالحصن ولا تزال عنه فقال
القداح لعلى رضى الله تعالى عنه والله يا سيدى ما ندمت بالاسلام دينا فلا تقعدنى
مع النساء وانا معروف بمبارزة الشجعان ومبارزة الفرسان فقال على يا قداح هل
لك ان تمحوا ما قدمت وما نزل من بلائك واسلفت فقال نعم يا سيدى انا بين
يديك مرنى بما شئت فجزاه على خير ثم قال له يا قداح انه ليس فينا احد اقرب
عهدا منك بالقوم وانهم قد ارسلوك رسولا لله حصن وتعود اليهم برد الجواب فهل
لك ان تسير اليهم وتحدثهم بكلامك فينا وتذكر لهم انك لم تر لنا خبر ولا اثر او
تبلغهم انك سمعت اننا ما وصلنا الى حصن الصخر وانا على رامق ثم تبين مسيرهم
إن وجدت سبيلا الى صاحبهم فاقتله وان بعد عليك ذلك فهذا يسير القوم الينا
وهذا المكان يجمعنا فإذا نزل القوم واطمأنوا فيها نحن جميعا نفتح الباب فى اقرب
وقت ونخرج اليهم وهم على غير اهبة ويفعل الله ما يشاء ويختار فلما سمع ذلك
القداح طرق برأسه الى الارض ساعة ولم يرد جوابا ولم يبد خطابا فقال يا امير
المؤمنين ما اراك إلا تقدمنى فى المهالك انا ما اصلح الا للحرب والنزال والمبارزة
والقتال ولست اصلح للمراسلة ولا للمكاتبة فإن اردت ان تعفو عنى من هذا الحال
وترسل الى هذا الامر غيرى من الرجال فدعنى اكون امامك وبين يديك اقاتل من
قاتلك واعادى من عاداك فقال له الامام يا قداح ان اتكلت على نصرتك فأنت
العاجز ياويلك أتخشى من قوم فارقتهم البارحة وقد ائتمنوا على سرهم ولايضرك
ان تعود اليهم وتذكر ما أمرتك به فقال القداح يا سـيدى فإذا أنا فعلت الذى

أمرتنى به وخدعت القوم وسقتهم اليك ثم أظهرت أنت من الحصن رجالك وأبطالك فيعلم عند ذلك القوم انى مبتدأ الأمر والمكر والحيل منى ومنتهاه الى فيحملونى على أطراف الأسنة ثم يقطعونى قطاعا فما أظنك يا سيدى الا وقد كرهت مكانى وتريد ان تبعثنى للهلاك فتبسم الامام من قوله وضحك جميع اصحابه فقال الامام اللهم ارزقنا عفوك يا أرحم الراحمين ثم أقبل على القداح وقال له يا ويلك اما يؤمنك منهم بعون الله طول باعى لاهجمتى واسراعى فيشتغلون بى عندك لأننى اذا نزلت فى بيت فيه رجال شخصت اعينهم الى ورجفت قلوبهم هيبة من الله عز وجل ألقاها الله فى قلوبهم فسر الى ما أمرتك به فإذا سرت فقل لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فعند ذلك نهض القداح الى القيام فأقبل وهو لا يريد القيام فأقبل الى مطيته فشدها واستوى راكبا ثم التفت الى الامام وقال يا ابا الحسن ها أنا ماض لأمرك فإذا رأيت القوم قد تبادروا الى وعطفوا على بأسلحتهم فلا يشغلك عنى شاغل ولكن بأسك الى واصلا وابدأ بخلاصى قبل ان تبطش بهم فقال له الامام لك على ذلك يا قداح امض وتوكل على الله فتوجه القداح سائراً فلما ولى تبسم الامام وقال لقد أعطاك الله يا قداح من الجبن نصيبا يا ويلك ثم الويل فلو كان لك قلب لكنت رجلا عظيما وجعل الامام يكررها مرارا ثم ان الامام التفت الى اصحابه وقال يا معشر الناس لا تزالوا فى اماكنكم حتى تنظروا ما يكون من امر صاحبكم القداح فإنى أراه جبانا والجبن اقبح شيئا .

(قال الراوى) ومازال القداح سائرا الى ان اشرف على القوم وهم سائرون فنظر اليهم القداح وحدث نفسه بالهروب ولكنه ثبت قلبه وقال والله انى لأحمل بنفسى على المهالك ثم حرك مطيته الى ان وصل الى القوم فتبادرت الى نحوه الرجال وتأملوه فإذا هو القداح رسول الملك ففرحوا بقدومه ثم سألوه عن حاله وعن خبره فلم يبد لهم جوابا فتسارع القوم الى صاحبهم غنام بالبشارة بوصول القداح اليه ففرح الغنام بذلك وقال وحق المنيع لأطأن ابن ابى طالب ولو انه وصل إلى مكانه بمكة لأسوقنه الى المنيع سوق الذليل ثم همز جواده الى ان وصل

الى القداح ثم ناداه يا قداح ما وراؤك وما الذى سمعته من الخبر فقال ياسيدى سمعت الخبر فقال غنام وما ذاك ياقداح فقال ياسيدنا واين ملكنا الناس صبوا هذا الغلام من خوفهم منه حتى انى سألت النساء والصبيان فوجدتهم لا يتحدثون الا بحديثه ومقاله انه خرج من مدينة يثرب وحيدا فريدا وها هو قد اجتمع معه عسكر جرار عظيم بغير غطاء ولا وقد كأنهم كانوا لا يدرى اين كانوا والموت بين يديه سائر وقد فتح حصن الوجيه وسار الى حصن الرافق وهو الآن نازل بجيوشه وقد تركت اهل حصن الصخر حافظين له وقد اظهروا سلاحهم واعدوا للحرب مع ذلك الجيش وقد زاد الأرق وكثر القلق وانى لما بشرتهم بقدومك عليهم اطمأنت قلوبهم وقد بلغنى ان ابن ابى طالب سائر اليهم فقال غنام يا ويلك ما فعل بكنعان الذى كان يروع الوحش والنساء فى الأوطان والرجال فى كل مكان فقال القداح واين كنعان وحق ابيك انه قد شغله عنك وعنهم شاغل ولا شك انه قد ولى وهو راحل فقال له غنام يا ويلك ما هذا انه نزل به الموت العاجل فصفق غنام بيديه ثم قال له يا قداح بشيرا بالخير فما فعل بولده مداعس فقال القداح وحق المنيع ان مداعس ادركه ما ادرك اباه فقال له يا ويلك يا قداح لارجعت الى اهلك سالما يا ملعون فما لحقنا من ودك خيرا فهل طرقهما الموت جميعاً ووصل اليهما سريعا فقال له القداح يا سيدى ستخبرهم وترى ماحل بهم فأعرض عنه بوجهه وقال له اصرف وجهك عنى فقال القداح سمعا وطاعة لقد سألتنى عن امر فلم اقدر اكتم عنه شيئا ولم يزل غنام سائرا بقومه الى ان قرب الى حصن الصخر فقال جنبل ابن وكيع جاءنا والله يا ابا الحسن عسكر جرار وقد لاح والله لمعان سيوفهم وانى ياسيدى ارجوا من الله ان يكونوا غنيمة لنا وكان صاحبنا القداح قد ساقهم الينا وهون علينا ثم ان الامام امر الرجال فنقل الرجال والأثقال داخل الحصن وان يدخلوا الخيل والرجال والجمال وكان ذلك الحصن كبيرا واسعا يغيب فيه العسكر الجرار ولا يرى له فيه اثار فلم يبق احد خارج الحصن ودخل الامام واغلقوا الباب فلما

استقر القــوم فى الحصن أقبل اليهم وقال لهم يامعشر الناس أن القوم أضعافكم مرارا وقد بلغهم صاحبهم غنام أنه أفتك اخوته وأبطشهم يدا وأكثرهم بأسا وإنى عزمت أن أقدم بكم اليهم واهجم عليهم إن شاء الله سبحانه وتعالى فانظروا أمامكم وإياكم أن تبقوا على أقاربكم وعشائركم وإن كبر عليكم ذلك فلا تستعينوا بالمخلوقين واستعينوا بالله رب العالمين .

(قال الراوى) ثم أن الامام قبل على من أسلم من أهل الحصن وقال لهم كونوا فى أعلى حصنكم فان خاطبكم غنام فخاطبوه وأظهروا له السياده وأسألوه النزول عندكم فيزل عنه الشك فقالوا حبا وكرامة ثم التفت الامام إلى جنبل بن وكيع فقال له كن خليفتى على من فى الحصن حتى أرجع اليك ان شاء الله فقالوا له جنبل وحق ما اعتقده من حبك وولائك ما كنت إلا معك وبين يديك أملى أحظى بالسعادة واغتنم الشهادة فشكرها الامام على ذلك ثم أقام مكان خالد بن الريان وتقدم أمير المؤمنين وقال لأصحابه أنا خارج أمامكم فى نفر قليل من قومنا لأننا إذا خرجنا جميعا نخشى مايفوتنا ماعزمنا عليه ويبعد عنا ما أملناه ويستيقظ القوم لنا فقالوا له ياسيدنا ومولانا افعل ما بذلك فدعا الامام يناقد وجنبل والرعداء وغيرهم من الأبطال المعروفة بالشجاعة فأقبلوا اليه ووقفوا بين يديه وقالوا له اؤمرنا بما تريد فقال على ياناقد أن أنت وصلت إلى أخيك غنام فلا تيأس عليه ولا تمدد يديك اليه بسوء وائتنى به أسيرا وإياك أن تأخذ لومة فى الدين فكن فيمن ذكرهم الله واثنى عليهم لما أنهم عادوا فى الله أباءهم وأبناءهم وعشيرتهم فلما سمع ناقد ذلك تبسم وقال ياسيدى وحق ابن عمك محمد رسول الله ﷺ أن غناما أشدمنى بأسا وأقوى مراسا ولا أطيقه فى الحرب ولكن أنا واثق بالله تعالى ومتوكل عليه فقال الامام يا ناقد قل لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أن الامام أمر أصحابه أن يترحلوا وقالوا يامعشر النــاس إذا رأيتموا ناقد ناشبنا القوم بالحرب فأتونا بخيلنا مسرعين فبينما الامام كذلك وهو يوصى

أصحابه سمع صهيلي الخيل وصياح الرجال عند نزولهم وقد ارتجت بهم الأرض فقال الامام يا ناقد قد ظهر السرور والفرح فنظر اليه ناقد وهو متبسم ضاحك وقال ياسيدى هؤلاء الجيوش قد ارتجت الأرض لكثرتهم فقال لا يهولنك ذلك فان الله تبارك وتعالى معنا لا يخفى عليه من أمرنا مثقال ذرة هو معنا أينما كنا وهو القادر عليهم فبقدرته ينصرنا عليهم ان شاء الله تعالى قال ناقد ياسيدى لا أفلح شانيك ولا خاب مواليك فشكره البطل الامام قال يا ناقد إنى متشوق إلى الضرب أشوق من الظمآن إلى الماء البارد فنزل القوم أو امتدوا بالوادى فملأوا الارض بالطول والعرض ونصبوا الخيام والمضارب فلما استقر بغنام الجلوس ولم يستقبله أحد قال بن القداح بن واثلة فنودى به فأتى اليه ووقف بين يديه فقال له غنام يا قداح ما كان فيهم من يستقبلنى ويخرج لى قبل وصولى اليهم فقال له القداح ياسيدى أن خوف من أبى طالب قد تمكن فى قلوبهم فيخشوا من حيلة تقع بهم فبينما هو يخاطب القوم وإذا بباب الحصن قد فتح وخرج منه الامام مسرعا ومعه قومه وقد تركوه مفتوحا وتقدم أمير المؤمنين وهو غير مكترث بهم إلى أن اخترق عسكر غنام ووصل اليه فوجده جالسا ومن حوله أكابر قومه والقداح باذائه وغنام يحدثه فلما نظر القداح إلى الامام أصفر لونه وتأخر إلى وراءه فبقى غنام يحدثه وهو يقول يا ويلك قد أتاك الليث الغالب أمير المؤمنين على ابن أبى طالب ثم أشهر سيفه وفعل أصحابه مثله وكبر الامام وكبر أصحابه الذين معه وسمعهم الذين فى الحصن فكبروا وأطلقوا لهم الأعنه وقوموا الألسنة فلما نظر غنام ذلك اندهش وحار وذهل ونظر أمير المؤمنين وقد يعلوه بالسيف فصرخ صراخا كبيرا منكرا فانكب عليه أصحابه من كل جانب ليمنعوا عنه الامام فلم يكبر ذلك على الأمام وهو غير منكتر بهم بل صار يضرب يمينا وشمالا فيقطع بحسامه الدرع السائرة والبيض الغادية فان ضرب طولا قد وإن ضرب عرضا قطع فبينما القوم كذلك إذا خرج من عساكر المسلمين غلاما أمرد رشيق القد مشرق الوجه متوشح بازار أحمر وبيده سيف مشهور فاقبل حتى وصل إلى جيش غنام وحمل عليهم فتأملوه فاذا هى

الرغداء بنت الخطاف فأدركها وجازاها خير وأمرها بأن ترجع إلى مكانها وقال لها نحن نكفيك هذا الأمر بأنفسنا ثم أقبل يقول ابن الملك إلى الامام رضى الله عنه وقال يا ابن عم رسول الله ﷺ إنى عزمت على كشف القناع وأريد أن أقدم إلى أخى بالانذار فعسى أن يصلح الله من شأنه وشأن من معه فقال الامام لا أمنعك من ذلك أخرج على بركة الله تعالى ورسوله وحسن توفيقه .

(قال الراوى) فتقدم ناقد إلى أخيه ونادى برفيع صوته يا أخى قد ظهر الحق لطالبه وخسر صاحب الباطل فى مذاهبه وقد ذهبت دولة الأصنام وجاءت دولة الاسلام وعبادة الملك العلام وظهر دين محمد ﷺ ثم نادى أخاه غناما وقال له مثل ما قال لأخيه فلما سمع غنام ذلك من أخيه فار بالغضب وأخذه الغيظ والحنق فقال لقومه هذا أخى الضال الذى أغضب أباه وآلهة المنيع وما أنا خارج اليه وملق بنفسى عليه فاذا رأيتمونى وصلت اليه فسارعوا نحوى عاجلا فقالوا له سمعا وطاعة ثم خرج من قبل العسكر وهو ينشد ويقول

لبيك أنت أخى إن كنت منقذنى ... من الهلاك ومنجى من النار
لبيك يا أخى إن كنت مسعدنى ... فالسعد انجلى لى من ظلمة النار
بادر إلى وخلص مهجتى ودمى ... من المهالك واسمع انت أسرارى

(قال الراوى) فلما فرغ غنام من شعره أتى نحو أخيه بغير عدة ولا سلاح فلما رأى ناقد أخاه وهو على تلك الحالة لم ينكر شيئا من أمره فدنا منه ليعانقه ويستعطفه فلم يمهله غنام دون أن دكى عليه بجواده ثم داخله وعاقصه وضرب بيده على أطواقه وسحبه اليه فاقتلعه من سرجه فلما رأى المشركين ذلك من غنام وقد اقتلع أخاه ناقد من بحر سرجه أتوا اليه مسرعين مسرورين حيث أخذ ناقد من المسلمين فلما أخذه غنام أوثقه كتافا وسلمه إلى أصحابه فمضوا به إلى عسكرهم فلما رأى الامام ذلك من المشركين لم يمهلهم دون أن حمل عليهم وحمل معه أصحابه ومالوا على المشركين لحمل غنام وحمل معه أصحابه ومنعوا الامام وأصحابه الوصول إلى القداح وناقد ولم يزالوا كذلك إلى أن قبل فافترق القوم ورجع كل فريق إلى أهله وقد حزن المسلمون لفقد ناقد بن الملك

والقداح حزنا شديدا ورجع الامام وهو يفور بالغضب وقال له والله لا أكلت طعاما فى ليلتى حتى أنظر ما يكون من أمر صاحبى ناقد والقداح فلا صبر لى عنهما (قال الراوى) ثم أمر الناس باضراب النار وزيادة الحرس وجعل الامام يطوف من حول عسكره يحرسهم بنفسه وهو قلقان على ناقد والقداح فبينما الامام يحرس أصحابه إذا سمع همهيف الخيل يقول وسمع صوت غنام وكان قد أثبت معرفته فلما سمع حسه اهتز فرحا وسمعه يقول لأخيه يا ناقد أما زعمت إن كان لك صاحب يخصك ومن الشدائد ينقذك فمالى أراه متباعدا عنك وللمهالك سلمك وناقد يقول ياويلك أن لى صاحبين صاحب فى السماء يرانى وهو الكبير المتعال وصاحب فى الأرض ولو علم بمكانى لأتانى وخلصنى من سجنك وسمع القداح يقول لا آخذ الله من أوفى بالخلاص وعدنى وضمن لى السلامة من كل شيء يؤلمنى وما زالوا كذلك إلى أن قربوا من الامام وغنام فى أوائلهم فوثب الامام وثبة وصلى بها إلى عدو الله غنام وقال له أقلل من الكلام فها أنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب فسمع القداح صوته فصاح ياسيدى سألتك بالله إلا ما خلصتنى قبل صاحبنا ناقد فقد علمت ما نزل بى أجلك وكان الامام لما وثب إلى عدو الله غنام ووصل اليه مديده وقبض على أطواقه وسحبه فاقتلعه من سرجه وقال له قد خلص أخاك صاحبه الأصغر بأمر سيده الاكبر فمن ينقذك منى ياويلك وهم أن يعلوه بالسيف فقال ياابن أبى طالب بن على كما أبقيت على صاحبك واحسن لى بكرمك (قال الراوى) فتقدم الامام إلى ناقد وحله من وثاقه وأمره أن يشد أخاه غناما شدا وثيقا وتقدم إلى للقداح وحله والعشرة أبطال الذين أتوا معه ينظرون إلى فعل الامام فاجسر أحد منهم ان يتكلم فلم يستطيعوا ان يتحركوا من اماكنهم فقال لهم الامام من قال منكم لا إله إلا الله محمد رسول الله فلا امد يدى اليه إلا بالخير ومن لهم يقلها مددت يدى اليه وقطعت راسه بهذا السيف فقالوا بأجمعهم نحن نشهد ان لا إله إلا الله محمدا رسول الله ففرح الامام باسلامهم فرحا شديدا ثم اقبل إلى غنام وقال له هل لك فى كلمة تقولها تمحوا بها ما سلف من ذنوبك فقال غنام ياابن ابى طالب وماهى الكلمة التى اقولها فتمحى بها ذنوبى فقال

الامام تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وتقر لله بالوحدانية ولمحمد ابن عمى بالرسالة فقال غنام يا ابن ابى طالب هذا شىء لا افعله ابدا وما انا بتارك دين آبائى وأجدادى ولو قطعت أربا واعلم أنك لم تكن من رجالى وإنما أخذتنى غضبا وغدرتنى ولو كنت لك فى الميدان لبعد عليك ماأملته ولا كنت ملكتنى (قال الراوى) فعند ذلك وثب الامام فحل وثاقه وهو يتململ من شدة غيظه ورمى اليه سيفه وجحفته واشتد الامام غضبا وقال لغنام ياعدو الله وعدو نفسك خذ سيفك وجحفتك واشتد ومانع عن نفسك فقال يا ابن أبى طالب لقد أنصفت فى فعلك وأصلحت فى صنعك دونك يا ابن ابى طالب القتال اخصبنى كغيرى من الرجال فلما سمع ذلك الامام غضب غضبا شديدا وقال ياعدو الله لقد تجارأت فى قولك فاعتزل إلى ناحية اخيك لئلا يهوله بك ياعدو الله وعدو نفسك ثم ان الامام جذب سيفه واخذ غناما واعتزل عن القوم ثم فاجاه مفاجأة الاسد لفريسته وضربه بالسيف ضربة هاشمية علوية فتلقاها عدو الله واستتر بجحفته على راسه فنزل السيف على درعه فقطعه ونزل على راسه من بين خديه وتجندل طريحا يخور فى دمه وعجل الله بروحه إلى النار فكبر الامر واخذ ما كان عليه دفعه إلى اخيه ناقدوسر على بقتل عدو الله فقال ناقد يا ابا الحسن مافعلت بعدو الله غناما قال ياناقد انه صار إلى النار فلا تأسف عليه فانه ليس بأخيك ثم اقبل على القداح وقال له ياقداح كيف رأيت نفسك قال يا ابا الحسن خلصتنى بعد اليأس من الحياة والاشراف على الموت فقال له على ياقداح ان الله قد انقذك من الموت وإن شئت فارجع إلى اهلك ودارك مصاحبا بالسلامة فقال القداح يا ابا الحسن وكيف امضى واهلى ودیاری وقد اتانى الله مالم ينله احد من قومى فوالله لا امضى حتى آخذ من الغنائم مايسرنى واسد به فقرى واوسع منه على اهلى وينشرح به صدرى (قال الراوى) فتبسم الامام رضى الله عنه ضحكا من قوله وقال له ياقداح لاعطيك من الغنائم مايسرك قلبك ويغنى فقرك وترجع مجبورا إلى اهلك ان شاء الله تعالى فقال القداح يا ابا الحسن هذا من بعض فضلك وكرمك فعند ذلك عطف على إلى عسكره وهو مسرور بالقوم وخلاص اصحابه

وقتل عدو الله غناما فلما أتوا إلى عسكرهم فى ساعة واحدة وقد مضى من الليل شطره وقد كان أصحاب على تفقدوه فى الليل فلم يجدوه فـكر ذلك عليهم فلما وصلوا اليه ونظروا إلى ناقد والقداح والعشرة الذين أسلموا من جماعة غنام مع على وقالوا له يا أبا الحسن هؤلاء القوم فقال ما هؤلاء عصابة مالت إلى الاسلام ورغبت فى الايمان ففرح القوم بذلك وباتوا بقية ليلتهم فما برق ضياء الفجر إذن على وصلى بالناس صلاة الصبح فلما فرغ من الصلاة ناداهم ياقوم خذوا آلة حربكم واستعدوا للقتال رحمكم الله فأخذ كل منهم آلة حربه واتوا إلى أن وقفوا بين يدى أمير المؤمنين فوثب الامام وعزم على القتال ونادى برفيع صـوته معاشر الأرزال كم تدفعوا الحق بباطلكم والحق أغلب وها أنا أشفق عليكم منكم على أنفسكم واعلموا أن الله تعالى أنقذ أصحابنا ناقد والقداح وقتل صاحبكم غنام وأورده بحسامى موارد الحمام فهل لكم أن تقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وهذا تصديق قولى لكم ثم نادى القداح وناقد فأجابوه وأسروا اليه فقال لهم الامام نحن قوم لا نكذب ولا يليق بنا الكذب فما أنتم قائلون (قال الراوى) فلما رأى القوم ناقد والقداح والعشرة أبطال الذين خرجوا معهم تحققوا الأمير وصدقوا الامام فى قوله وأتوا نحوه قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان عشرة آلاف قتل منهم فى المعركة ثلاثة آلاف الذين أتوا نحو الامام وأسلموا وحسن إسلامهم واختلط القوم بعضهم ببعض فأخذهم الامام وقرب إلى الحصن فخرج أهل الحصن اليهم واستقبلوا الامام وجيشه وأسلموا على يديه وأكرموه غاية الاكرام فأقام عندهم بقية يومه فى وسعة قد كثر الله جمعه وأعلى نصرته ورفع قدره وجيشه من خارج الحصن لكثرتهم وقد ازداد فرحهم لكثرة جمعهم وإنقاذهم من النار ثم أن الامام بعث طائفة وأمر عليهم جنبل بن وكيع وأرسله ليكشف له الأخبار وأمره أن لا يعود اليه إلا بخبر صحيح فصار جنبل من عند الامام فما عاد إلا وقت الصباح فلما أقبل على الامام سلم كل منهم على صاحبه (قال الراوى) ثم أن الامام رضى الله عنه جمع عسكره وجميع قومه وقال لهم معاشر المسلمين أن الله تبارك وتعالى أكرمكم

بكرامة الأيمان وبعد ذلك فانى أريد أن ألتى بكم جميعا بين عشائركم ألا وإن الله تعالى
قد باعد ما بينكم وبينهم وإنى لا أخشى أن يداخلكم الربى على قربانهم وهذا ما يداخل
عسكر قد اجتمعا لصاحبك فيه خلق كثير من سائر جميع العربان ثم قال يا جنبل
ما وراءك قال جنبل كل خير وسلامة يا أمير المؤمنين لأن الملك الهضام قد خرج الينا
بجميع قومه وجميع عسكره وهم مائة ألف فارس ما منهم يا سيدى إلا كل بطل مداعس
غير ما معهم من الصعاليك والعبيد من سائر قبائل العربان فقال أمير المؤمنين يا جنبل
لو أنه يكون مع ذلك الكافر جميع أهل الأرض ما كبر على لقاؤهم ولقد كنت وما لا
على لقائهم وحدى جنبل فكيف أخشاهم اليوم وأنا معى هذا الجيش والله المستعان
وعليه سبحانه وتعالى الاتكال وهو حسبى الله ونعم الوكيل ثم أن الامام أمر بالرحيل
فتواثبت الرجال اليه كالأسود الكاسرة وأحدقوا بالامام من كل جانب ومكان ثم
نادى الامام فقال يا ناقد أنت أعرف بالطريق وهى بلادك وأنت أعرف بها من غيرك
فسر بالقوم فقال ناقد حبا وكرامة يا أمير المؤمنين ثم تقدم ناقد وبقى الامام وجنبل
والرغداء وأكابر قومه محدقون به وقد أخر الى ما وراء القوم وهم سائرون
فى أثر ناقد بن الملك فما زال القوم سائرين وحميت الشمس واشتد عليهم
الحر وناقد فى أول القوم والامام رضى الله عنه وجنبل والرغداء من وراء القوم
باعدين عنهم فبينما هم كذلك إذ نظر ناقد فرأى فارسا مبادرا من وراء أبوه كأنه
طالب أو مطلوب وهو شاك سلاحه فنظر الفارس فرأى ناقد وهو أول القوم
(قال الراوى) فلما رآه ناقد انقض عليه كأنه الإسد إذا عاين فريسته وترك الناس
وقوفا فى انتظاره فلحق بهم على فقال لهم يا قوم ما الذى أوقفكم عن المسير فأخبروه عن
ناقد فقال الامام ما كان يجب أن يهجم عليه فلا يأمن أن تكون طليعة القوم كامنين
فيقع فيهم ثم تقدم إلى القوم وجعل يسير بهم على مهل لابطاء ناقد عنه فما كان إلا
ساعة من الزمن وإذا بناقد قد أقبل والفارس معه وهو يقوده أسيرا بعد أن أوثقه
كتافا وشده من فوق رأسه بالقيد ولم يزل سائرا به إلى أن وصل إلى الامام فلما
نظره الامام رضى الله عنه تبسم وقال زادك الله يا ناقد خيرا فهل أنت تعرف هذا
الفارس قال نعم يا أبا الحسن أنه من أكبر قومنا (قال الراوى) فأقبل الامام إلى ذلك

الفارس وقال له يا أخا العرب ما اسمك قال اسمى مضارب بن عراف الباهلى فقال له مضارب الصدق أوفى سبيل فاكشف لنا عن حقيقة أمرك ولا تخف علينا منتهى خبرك ولا تخادعنا فنحن جرثومة الخداع والمكر فقال مضارب يا فتى إن فراسة العاقل لا تخيب وأنا متيقن فيك أنك صاحب الجيش ولكن يا أخا حسن أعطنى الامان فلما سمع الامام من مضارب ذلك قال له لك الامان ولا تخشى إن قلت الحق واستمسكت بالصدق فقل ما أنت قائل فقال مضارب يا أبا الحسن إن الملك العظيم الهائل الهضام لما يبعث ولده غناما فى العشرة آلاف فارس ظن ان ولده يأتى بك أسيرا فأقام يومه ذلك فلما جن الليل واختلط الظلام وآوى فراشه رأى فى منامه رؤيا قد انتبه منها فزعا مرعوبا فلما أصبح الصباح بعث إلى حاشيته فقال لهم ياقوم أنى رأيت الليلة فى منامى رؤيا أرعبتنى فقال له قومه يا أيها الملك العظيم أنعم المنيح لك الصباح بقوته ما رأيت فى منامك فقال أنى رأيت ولدى غناما جالسا بين يدى وأنا أحدثه فبينما أنا كذلك اذ رأيت طيرا عظيما قد انقض على وله مخالب كمخالب السباع وكأنى أخذت ولدى وضممته الى صدرى فهجم عليه الطير وهو فى حجرى فاختطفه بمخالبه ولم أقدر على خلاصه منه وأخاف ان يكون أصابه ضرر من ابن ابى طالب فلما سمعوا القوم منه ذلك قالوا أيها الملك العظيم انه داخلك وسواس أحلام لأجل تعلقك بولدك أنه لما سمع ذلك أمر بتجهيز الجيوش ليحارب وقد عزم على المسير بنفسه وهو منتظر قدوم الجيوش اليه وجهز جماعة وسيرهم وهم أربعة آلاف فارس وأمر عليهم رجلا هو جويرثة بن أسعد الباهلى وهو بطلا شجاعا مشهورا وأمره بالسرعة ليأخذ خبر ولده فلما وصلوا الى الحصن المشرف واعلموا بسير الامام اليهم كمنوا له فى وادى الظباء بعد ان تفرقوا أربع فرق كل فرقة لها قائد منهم ألف فارس وقد أمرهم الملك أنك اذا صرت بينهم ينقضون عليك بأيديهم وان الوصية قد تقدمت الى صاحب الحصن المشرف خالد بن بسطام الملقب بهجام ان ينجدهم ان هم قد عجزوا عليك والقوم فى مكان الوادى ومضايقه والأمير جويرثة بن الاسد أمير الجمع وهو فى الجهة التى قبلك من جهة عطفة الوادى وقال لى سر على عجل وأشرف على بن أبى طالب وانظركم معه من القوم واين

هو راجع إلى مسرعا فخرجت فى أمرك مجدا ولم يعلم القوم أنك قد تكامل معك
هذا الجيش العظيم والعسكر الجسيم فلما قدمت من جانب الوادى أسرع إلى قائد
وقبض على وقادنى بين يديك فاصنع بى ما شئت فقد أخبرتك على حقيقة الحال
وأنا أقول قبل أن تصنع بى شيئا أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد ان سيدنا محمد رسول
الله فلما سمع الامام إسلامه سر سرورا عظيما ثم أقبل عليه الامام وعلى أصحابه
وقال لهم معاشر الناس ما تقولون فيما قال أخوكم وحبيبكم مضارب فقالوا يا أبا الحسن
أنت الآمر ونحن المطيعون وأنت القائل ونحن السامعون فجزاهم الامام خيرا ثم
التفت إلى ناقد وقال له اتعرف هنا منفذا او مخرجا تخرج منه وتدور من وراء
القوم حتى نخلى بينهم وبين الجن ونترك له منا جماعة ههنا يلاقون عليهم وندهمهم فى
مكانهم فقال ناقد يا أبا الحسن إن الطريق سالكا إلى الوادى يمينا وشمالا فإن شئت
فاعزم فما من أحد من قومك إلا ويعرف البلاد ومسالكها ففرقنا على المكان
ونحن ندهمهم من سائر الجهات فجزاهم الامام خيرا ثم أرسل مع ناقد ألف فارس
وقال له خذ فى عرض البرية الى ان تحاذى القوم من جهة الحصن واعطف على
ناصيتهم فإنهم إذا نظروك وقد أتيت من جهه الحصن يظنون أنها نجدة من صاحبهم
الملك فاهجم عليهم وإذا قربت منهم فاحمل عليهم ومكن السيف فيهم حتى يقولون
لا إله إلا الله محمد رسول الله وها نحن سـ ـترين من بين أيديهم وأقروا بهذه
الأبطال الشهم فسار ناقد بألف فارس فلما بعد ناقد بمن معه دعا الامام جنبل
ابن وكيع وقال له أنى أفرد له ألف فارس وقال له يا جنبل خذ أنت بمن معك
الى أن تأتى لى به حيا ولا أريد ميتا من القوم فسار جنبل كما أمر الامام وجد فى
المسير ثم دعا الامام بالرغداء وأفردلها ألف فارس وأمرها عليهم وقال لها جدى بهم
من يسار الوادى وهو يوصلك إلى أن تأتى مكمن القوم فقالت له السمع والطاعة فلما
سارت الرغداء بمن معها تقدم الى ان انحدر من الوادى فوجد القوم جلوسا فى
أماكنهم فلما نظروا إلى أمير المؤمنين وأصحابه قال جويرثة أنا وحق المنيع إن
القوم قد علموا بمكاننا ولا شك أنهم ظفروا بصاحبنا وأرادوا قتله فكشف لهم

عن حالنا وجملة أمورنا ولكن امهلوه الى ان يجاوزنا واخرجوا عليهم ويأتى قومك من جهة الحصن فيكونوا فى وسطكم وتدور عليهم بالسيف حتى تفرقهم جميعا .

(قال الراوى) فبينما القوم كذلك اذ أشرف ناقد بمن معه من جهة الحصن المشرف وقد ثار التراب والغبار من حوافر الخيل ففرح المشركون بذلك وظنوا أنهم نجدة لهم من الحصن ليساعدوهم فبينما هم كذلك وهم ينظرون وصولهم اليهم اذ كبر ناقد وأصحابه ثم حمل معه عليهم وقد انحدرت الرغداء بمن معها فحملت وحمل قومه معها ونادوا بأعلى أصواتهم وأتى الامام وجنبل واحتشدوا القوم بجمعهم فعند ذلك علم المشركون أنهم مكروا بهم وان أصحاب الامام قد دهموهم فى أماكنهم فحمل عليهم أصحاب الامام حملة عظيمة وكشف الامام رأسه فى معمعة الحرب ونادى برفيع صوته يا معشر الناس ان الله سبحانه وتعالى مطلع عليكم وناظر اليكم والملائكة تتخلل صفوفكم فكلوا أعدائكم أكلا وازجروهم زجرا وتقاتلوا الناس فى ذلك اليوم قتالا شديدا فلم تكن الا هنيهة حتى اخمد الله جيوش المشركين وقد قذف فى قلوبهم الرعب من امير المؤمنين فولوا منهزمين فلما رأى جيورثة ذلك علم انه لا طاقة لهم بالامام واصحابه وكان الامام لم يصادفه فى الحرب مثل ذلك اليوم ولا وقع به فخرج جيورثة من معمعة الحرب وولى هاربا وتبعه أصحابه فأتبعهم المسلمون ووضعوا فيهم السيف من موضع المعركة الى الحصن فلما نظر اهل الحصن الى هزيمتهم امر هجان بفتح باب الحصن حتى دخلوا فيه واوصاهم بحفظ بابه وان يكونوا عنده للمحاماة من الابطال .

(قال الراوى) ثم نزل هجان شاهرا سيفه وهو كأنه البعير لعظم خلقته فبرك جاثما على الباب والمنهزمون داخلون الى ان اقبل جويرثة وقد قلق جواده من شدة ركضه فلما رآه هجان قال له يا جويرثة ما وراءك قال له دعنى من سؤالك عن عطب الموت وهم لى فى طلب ثم دخل الحصن وهو لا يصدق بنجاة نفسه ثم ان جماعة من اصحاب الامام تقدموا بابن الملك وجندب بن وكيع والرغداء بنت الخطاف وقد اغلقوا الباب دونهم فقتلوهم عن آخرهم وما سلم من المشركين فى ذلك اليوم الامن دخل الحصن ومنع عن نفسه الموت ثم أقبل الامام على اصحابه وسار

على مهل لان الامام كان لا يتبع منهزما قط ولا يزال كذلك الى ان اجتمع بقية القوم من كل جانب وساروا الى ان وقفوا قرب الحصن متباعدين عن يسيرا فلما رآهم هجام خاف قلبه واصفر لونه وارتعدت فرائصه فقال لاصحابه وقومه ياقوم احفظوا حصنكم فقد طرقكم ابن ابى طالب برجاله وأبطاله وكان مع جويرثة فى طليعته اربعة آلاف فارس فدخل معه الحصن مائة وسبعون رجلا وقد قتل بقيه قومه ولم يبق منهم سوى هؤلاء من وادى الظباء الى الحصن وامرهجان كل من فى الحصن ان يعلوا على السور وكأنه حصنا منيعا لم يكن فى تلك الحصون امتن منه ولا اوسع الا ارفع بناء عنه وانما سمى بالمشرف لارتفاعه وعلو بنائه وطرزه وكان اذا طلع على أعلى السور ونظر يمينا يلاحظ حصن الصخر واذا نظر شمالا يرى الحصن وكان الملك الهضام اذا طرقه طارق أو دهمه داهم أو عدو أو دار حرب بين قومه بعث بأهله واولاده وماله الا الحصن المشرف لما يعلم من مكن قوته ومناعته وعلو بنيانه ثم ان القوم لما دخلوا فى الحصن وامتنعوا فيه وتأهبوا للقتال وعزموا عليه وحضهم هجام وقال لهم يا قوم ان حصنكم هذا قوى ومنيع وطعامكم كثير وماءكم غزير ومع هذا فإن الملك الهضام سائر الينا بنفسه وقادم عليكم فكونوا مطمئنين فى حصنكم الى ان تنظروا ما يكون من امر مليككم فأجابوه الى ذلك وقالوا له ايها السيد نحن معك وبين يديك نقاتل بدمائنا وبأنفسنا عن حريمنا واموالنا فنحن لا نسلم حصننا للعدو ولو قتلنا عن آخرنا ففرح هجام بقولهم ثم اقبل على جويرثة وقال يكبر عليك ما نزل بك لا تهتم بذلك فأنا آخذ بثارك وان كنت تجزع من الملك الهضام والهك المنيع فسوف أرضيهما حتى ادفع لك ابن ابى طالب فتمضى به اليهما فأجابه جويرثة فى هدوء وقال ياهجام انى رايت الامام فى شجاعة لم ار مثلها فى احد من العالمين ولا فعل مثله احد اذا كان انس ولا جن فقال هجام سوف ترى وتشوف حين املك قبابه فبينما القوم كذلك على اعلى السور يشدد بعضهم بعضا اذ تقدم الامام واصحابه فأقاموا بالنبال والصخور ورشقوهم بالنبال فقال الامام لاصحابه اتقوا الله عز وجل واستروا بالحجف من حجارة المشركين فإنهم عالون عليكم وليس هذا الحصن كسائر الحصون وانى

حصنا منيعا وان سهامهم اذا أتت وصلت واثرت وسهامكم اذا وصلت اليهم كانت واهية ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء وهو على كل شيء قدير فقولوا على بركة الله ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وترجلوا عن خيولكم وضيقوا الموكب على عدوكم فنزلوا عن خيولهم ونزل الامام عن جواده وزحف بقدمه وفرقهم من سائر جوانب الحصن فاشتد القتال وتراشقوا بالنبال وتعالى القوم على اصحاب الامام فوصلت اليهم جنادلهم وسهامهم فصبروا لذلك صبر الكرام فلما نظر الامام الى ذلك عطف وقال لقومه ارجعوا الى ورائكم فتصايح القوم بعضهم ببعض وانعطفوا عن القتال واجتمعوا الى امير المؤمنين ونزل الامام مباعد وقومه فتوضأ وامر الناس بالوضوء ثم قام فأذن وصلى بهم صلاة الظهر فلما اتم صلاته اقبل على قومه وقال لهم يا قوم هل لكم ان تشيروا على برأيكم فإني ارى ما املته من هذا الحصن متباعدا الى ان يأمر الله بفتحه وهو على كل شيء قدير ونخشى ان نطاول القوم فى القتال فيدهمنا مليكهم الذميم وان الله حامى اوليائه الابرار وخاذل اعدائه الكفار واخشى ان يفوتنا هذان الاثنان ومن معهما فهل فيكم من يشير على بحيلة وخديعة نصل اليهم بها فتكلم كل واحد بما معه وما عنده وكثرت الاقوال من القوم والامام ساكت يسمع قول كل من قال .

(قال الراوى) فلما فرغ القوم من كلامهم وثب ناقد بن الملك قائم على قدميه وقال يا ابن عم رسول الله ﷺ فإنك ان امرت فأنت جرثومة الخيل والجالب لاعدائه الخبل وقد سمعت اقوال كل واحد من قومك فهل انت قولك فأنت الموفق للصواب والفصيح فى الخطاب ومنك يسمع القول والجواب فقال للقوم اما لقاء الملك ومن معه فهذا شيء لا بد منه لا محالة ولو لاقيتهم وحدى اويأتيني اليقين أو صبر الى رب العالمين الا انى فكرت فى حيلة ازجر بها هذا الحصن ان شاء الله قريب فقال له ناقد وما هى يا أبا الحسن وفقك الله قال يا ناقد تصنع المنجنيق كما صنعته ونحن مع رسول الله ﷺ لما عسر علينا حصن النظام فقال ناقد وما هو المنجنيق يا امير المؤمنين وكيف تكون هيئته ومن اى شيء يصنع فقال له الامام نحتاج الى اخشاب طوال قد قطعوا من عدة اعوام وعدة يقطع بها الخشب

من مناشير وقواديم وقوس ومسامير من حديد وحبال وكفة فقال ناقد بأبى انت وامى ان فى هذا الوادى من وراء هذا الجبل بستانا عظيمافيه اخشاب طوال واما الاحبال فنحن نجمع لك من فوق النخل حبالا فخذ منها ما يوافقك فتبسم الامام ضاحكا وقال يا ناقد لقد تم الله بك امرنا وبسر عسيرنا ثم التفت الى اصحابه وقد تبين لهم السرور فى وجهه وقال لهم يا قوم اسرعوا مع اخيكم ناقد واطيعوه فيما يأمركم واياكم ان تخالفوه فى شيء. فقالوا السمع والطاعة لله ولك يا امير المؤمنين فأخذ ناقد ومعه ثلاثة آلاف فارس وساروا واهل الحصن شاخصون لهم وما يدرون ما هم لهم صانعون الى ان وصلوا الى البستان فأمر ناقد فرقة منهم ان تجمع ليفا من النخل وامر فرقة تحمل الاخشاب على الجمال وامر فرقة تحمل ما هناك من الحديد والصفيح والمسامير واخشاب فلم تكن الا ساعة وقد جمعوا ما يحتاج اليه واتى به الى امير المؤمنين والقوم شاخصون الى ذلك من اعلى الحصن فقال هجام لجويرثة ويحك اما ترى هؤلاء القوم وما هم صانعون ارادوا ان يسندوا هذه الاخشاب الطوال إلى جدران حصننا ويصعدوا لنا من فوقها إن ذلك منهم أمل بعيد وإن مكناهم من وضع هذه الأخشاب إلى جدران حصننا فنحن العاجزون فبينماهم كذلك وإذا بالامام لما نظر إلى الليف والاخشاب والحديد فرح فرحا شديدا وأمر كل فرقة من قومه ان يشتغلوا بقية يومهم وليلتهم والامام يساعدهم بنفسه إلى أن فرغ المنجنيق وجميع آلته فأمرهم بحمله فحملوه ومشوا به والامام معهم الى أن قربوا من الحصن وأمرهم بنصبه فنصبوه وأمرهم بأن يعقدوا آلته وحباله ففعلوا ذلك وأمر القوم ان يحملوا الصخور فحملوا وأتوا بها ووضعوا عند المنجنيق ولم يصبح الصباح الا وقد ركبوه وفرغو آلته .

(قال الراوى) فلما أصبح الصباح ونظر أهل الحصن الى ذلك قال بعضهم لبعض يا ويلكم ما هذه الحيلة متى نصبت بإزائنا ليت ما تكون هذه الحيلة وما يريد ان يصنع ابن أبى طالب فهذا قول هجام وأما قول جويرثة حين سمع ذلك من هجام فقال لا شك ان هذه حيلة نصبوها ليرتقوا عليها فيساوونا ثم يرمونا بنبالهم واعلم يا هجام ان كل من صعد من أعلاها فهو هالك لا محالة فإنه إذا انتهى إلى أعلاها رشقناه بنبالها رشقا عنيفا متداركا فقال

هجام صدقت فى قولك ثم أن الامام أفرد ألف رجل بالدرق يمنعون عن أصحابهم وأخذ فرقة وجعلهم حول المنجنيق يجرون الأحبال وأمر بقية القوم أن يقفوا صفوفا بأسلحتهم وعدتهم ثم أنه أخـذ حجرا عظيما ووضعه فى كفة المنجنيق وأمر الرجال بجر الأحبال وتعلق بكفته وهو ينشد ويقول

حجارة نازلة من ذا البطل　　دامغة ترمى الأعادى بالاجل
صنعها الشهم ابن عم المصطفى　　مدموم الكفار من كل بطل

فلما فرغ الامام من شعره صاح بالرجال وأمرهم أن يسرعوا بشد الحبال والتكبير لذى العزة والجلال فكبر القوم بجمعهم وشدوا الحبال فارتفع الحجر فى الهواء باذن الله وعلا علوا عظيما ثم انه امرهم ان يحطوا الحبال من ايديهم ففعلوا ما أمرهم به فانقض الحجر من كفة المنجنيق وله دوى كدوى الرعد القاصف وازداد فى الهواء ارتفاعا عظيما ثم وقع على الحصن فنزل على اثنين فهشمهما فلم يتحرك منهما احد فذهل القوم عنـد ذلك وحار واندهشوا مما حل بهم والتفت هجام إلى جويرنة وقال له إلا تنتظر إلى هذه الحيلة العظيمة التى نصبت فبينما هم فى الحيرة وإذا بالامام أخـذ حجر آخر ووضعه فى المنجنيق واوصى الرجال بجر الحبـال ثم جرت الرجال الحبال وكبروا ثم ارسلوا الحجر من ايديهم فهو الحجر إلى السماء ثم سقط فى الحصن فوقع على جماعة من النساء فأهلكهم فعلا فى الحصن وكثر الصياح والصراخ فلما نظر هجام إلى ذلك قال ذلك وحق المنيع لقد رامنا هذا الغلام بداهية عظيمة فأين المنيع اليوم يمنعه عنا وعن نصرته فبينما هم كذلك حائرون إذا اخذ الامام صخرة عظيمة ووضعها فى كفة المنجنيق ثم ان الامام امرهم ان يفعلوا بها مثل فعلهم اولا فما استطاعوا أن ينقلوها من محلها وما قدروا ان يحركوها فزادهم الامام رجالا وامرهم ان يكبروا فكبر المسلمون وكبر الامام ثلاثا واطلقوا الحبال من ايديهم فانقض الحجر فى الهواء وزاد ارتفاعا وله دوى كدوى الرعد وكان الامام قد قصد ناحية باب عدو الله الهضام وجويرنة فوقعت على الباب وكان ذلك الباب العظيم على قبة معقودة عظيمة قدمها وصارت حجاراتها طائرة فى الفضاء كأنهـا العصافير

وعاد كل من صدمه حجر منها قتله فكل منهم جزع وقد سار عدو الله هجام وجورته وقد تزايد بهم الخوف وصاحوا لاصبر لنا على هذا فقال هجام وحق المنيع أن دام علينا هذا الفعل هلكنا عن آخرنا ولقد كنا نرجوا الملك المضام أن يرسل لنا أحدا من قومه ويسير الينا بجيوشه فينصرنا على عدونا ولقد غلبنا وإن غاب عنا بقية يومنا هذا وليلتنا لأهلكنا على ابن أبي طالب ويملك حصننا بعد أن يقتلنا ولم يزل الامام يرمى عليهم بقية يومه فقتل منهم خلقا كثيرا فلما ولى النهار وأقبل الليل وانسدل الظلام رجع الامام بمن معه إلى أماكنهم وتركوا المنجنيق على حالته (قال الراوى) فالتفت إلى أصحابه وقال ياقوم هذه الليلة حرس ثم أن الامام دعا بناقد وجنبل والرغداء وخالد بن الريان وولاهم الحرس بالقوم وأوصاهم بمداومة السهر فقالوا له السمع والطاعة يا أمين المؤمنين ثم قالوا يا أبا الحسن لو أنك أخذت معك من قومك ولو مائة رجل لطارق يطرق أو مائة يعتق فإن فى الحصن حياة تلسع وعقارب تلدغ فقال له يا ناقد أن لنا رب يعيننا على تلك العقارب والحياة الأراقم وتهلك بمشيئة الله كل كافر ونحن فينا الكفاية ثم ودع القوم وسار إلى أن وصل إلى المنجنيق فوقف بازائه وهو مستقبل القبلة ولم يزل يصلى ويتضرع إلى الله سبحانه وتعالى إلى أن مضى من الليل أكثره والناس طيب هجعتهم ولذة رقادهم فبينما الامام فى صلاته إذا سمع صرير الباب وفتح الأقفال فلصق الامام بطنه على الأرض وتحقق بالنظر إلى باب الحصن فرآه قد فتح وإذا هو بالرجال قد خرجوا منه بعضهم وراء بعض وجعل الامام يعدهم واحد بعد واحد حتى انتهى إلى مائتى رجل وقد كان عدو الله هجام قد تشاور فى تلك الليلة على قطع المنجنيق وقطع حالة مشابه وقطع البستان حتى لا يبقى فيه شجر ولا نخل وهجام وجويرته مع كل واحد منهم مائة رجل من صناديد القوم وشجعانهم فلما خرجوا من باب الحصن أمن وأمن بقى من قومهم أن يغلقوا باب الحصن من ورائهم ثم أقبلوا يمشون وقد أخفوا صوتهم وحركتهم ولم يزالوا كذلك إلى أن وصلوا إلى المنجنيق والامام مراقب لهم وقد امتشق سيفه من جفيره وقبض عليه بيده وعلى جحفته وهو لاصق ببطنه على الأرض ولم يداخله هلع

ولا جزع وهجام وجويرثه فى اوائل القوم فسمع جويرثه يقول وحق المنيع
ياهجام انا لانأمن على ابن أبى طالب أن يعلم بمكاننا فلابد أن يأتينا ويصل
بسره الينا ثم أنه أمر طائفة أن يسيرون إلى البستان فيحرقوه بالنار فتوجه
جماعة من القوم اليه وتقدم الباقون إلى المنجنيق جويرثه وهجام يقول وحق
المنيع لاقصدن على ابن أبى طالب أينما هو نازل ولا أخذته أسيرا ذليلا ولآتين
له وأوصله الى الملك الهضام والمنيع يفعل فيه مايشاء ويختار كل هـذا والامام
سامعه وهو صامت ولم يرد عليهما جوابه وهو صابر لاحـكام الله تعالى ولم
يزالوا كذلك إلى أن وصلوا المنجنيق وهموا أن يقلدوه فعند ذلك وثب لهم
الامام قائما على قدميه وصرخ عليهم صرخته المعروفة بين القبائل بالغضب فدوى
منها الوادى وقال لهم إلى أين ياأولاد اللئام فذهل القوم واندهشوا وبهتوا ولم
يجـدوا مفرا مما نزل بهم فبادرهم الامام رضى الله عنه بذى الفقار وجعل
يضرب يمينا وشمالا ولم يزل الامام يقتل فيهم إلى أن ولو منهزمين على وجوههم
هاربين وإلى حصنهم طالبـين وأما جويرثه شخص ولم يتنقل من مكانه
ولم يتحرك من موضعه من شدة ما أصابه وأما هجام فانه لما عاين ذلك قلب
جواد وعطف وركض إلى جهة الحصن وصرخ بمن فيه افتحوا ففتحوا له جهـة
مدخل الباب من خلفه وقد جرى الامام وراء من كان معه من القوم وقتلهم
جميعا خارجا عن الحصن وكانت عدة القوم مائتى رجل لم يدخل الحصن غير
أربعة وسبعين رجلا وقتل الباقون وقد كانوا دخلوا قبل هجام (قال الراوى)
واما الامام فانه لما فرغ من قتل بقية القوم عند باب الحصن ورجع إلى المنجنيق
وجد جويرثه واقفا وقد امسك الله جوارحه فلم يستطع أن يتحرك بحركة فاعلن
الامام بدعائه ليسمع قومه لما عـلم انهم مطاولون اليه فنادى يامعشر الناس
لايضرنكن القلق ولا يداخلنكن الارق فأنى بعون الله سالم وبنصره غانم فانى
قاتلت قتالا لا ارجوا به الارضا الجبـار ودمار الكبار فاستبشر الناس بقوله
وفرحوا بكلامه وعاد الامام رضى الله عنه إلى صلاته وخشيته لمولاه وجويرثه
باهت يراه ويسمع قراءته ونداه وينظر إلى ركوعه وسجوده وتفرغه وتعفير
وجهه من التراب ولم يزل الامام كذلك إلى برق الفجر فاذن الامام الفجر فى

لك المكان فملم آذانه جميع عسكره فأجابوه من كل ناحية ومكان ثم أن الامام
ذصلى صلاة الفجر فى مكانه وجلس يذكر الله حتى طلوع الشمس واقبلت أصحابه
لما نظر أهل الاسلام إلى جويرثة والامام وهما كالأسود الكاسرة الهائلة ففرحوا
بسلامة الامام ونزلوا حتى بادروا اليه فقال لهم الامام انزلوا حتى يتضاحى
النهار بارك الله فيكم فنزلوا يتحادثون معه كيف صنع فى ليلته وهو يحدثهم
بما وقع له فى ليلته فبينما هو كذلك وإذا بالشمس أشرقت وامتلأ بنورها الأرض
فنظر الامام إلى الحصن وإذا عليه أعنة منصوبة مفتولة وكفات مظبوطة
وجنادل موضوعة فبينما هم ينظرون إلى ذلك اذ اخذتهم الأحجار من كل
جانب وكان ابليس لعنه الله تعالى صنع للقوم المنجنيق وأخبرهم انه المنيع
قال فما رأى الامام ماحل باصحابه قال ناقد اما تعلم هذا الحصن من مدخل
قال أمير المؤمنين لا أعلم له مدخلا إلا من عين الظباء وهى أن تضع حجرا
فيه ليحجز الماء عنا وندخل آمنين فامر الامام أصحابه بفعل ما أمره ناقد
ثم دخلوا واحد واحد قال فلما تكاملوا داخل الحصن هجموا على المنجنيق فخطموه
فاتهم جنود عدو الله ابليس وهجموا على القوم فنادى الامام لاتحاربوا مع
الجن دعونى لهم ثم أن الامام هجم على الجن فسمعه الناس عند هجومه
يقول بلوا مع الابراق من نور الجبار اطفىء نار المردة الاشرار وارجمهم باسماء
الله الكرام الشريفة المنيعة وسر أقسام الله العالية يرسل عليكما شواظ من نار
ونحاس فلا تنتصر ان غاب فى السرب فلم يسمع له احد كلام فلم تكن الا الساعة وقد
لاح للناس الشرار من الجانب الآخر من السرب وهو يتساقط يمينا وشمالا وقد سمعوا من
السرب صياحا وضجة ولم يزل متماديا وقد خمدت الأصوات وانقشع الدخان وزاد
الشرار ولم يسمع الناس للامام كلاما بعد ذلك ولم يعرفوا له خبرا وقد انتظر
الناس رجوع الامام فلم يرجع فقلق الناس لذلك قلقا شديدا وماج العسكر والناس
يسعون من فم السرب إلى المكان الذى فيه العسكر ولا يطيب لاحد منهم كلام
ولا يقر لهم قرار وكل منهم قلق على الامام ولم يزالوا كذلك إلى أن مضى من الليل
الثلث فبينما القوم فى أشد القلق (قال الراوى) وإذا هم يسمعون صوت الامام

ينادى من أعلى الحصن وهو يقول : نصر من الله وفتح قريب فعند ذلك أجابه جميع أصحابه بالتكبير والتهليل وقد أطلقوا له الأعنة فلما قربوا من باب الحصن سمعوا أصوات من داخله تنادى عليهم الأمان يا ابن أبي طالب والامام يناديهم الى أين يا أولاد اللئام فوالذى بعث محمدا ﷺ بالحق بشيرا ونذيرا ما ارجع عنكم بمشيئة الله حتى أبدد فيكم الجمع واشتت منكم الشمل ثم وضع فيهم السيف وصار يضرب يمينا وشمالا فتكاثر القوم عليه فصار يجمعهم بجحفته ويدفعهم فيكردسهم فينزلون الى أسفل الحصن عند ذلك يصيرون هشيما فأهلك منهم خلقا كثيرا ورأوا منه مالا طاقة لهم به فعند ذلك صاح من بقى منهم الأمان يا ابن أبى طالب فقال لهم الامان لا امان لكم عندى يا أولاد اللئام حتى تقولوا لا إله إلا الله محمدا رسول الله ﷺ ويكتف بعضكم بعضا ولم يبق منهم أحدالا اوثقوه كتافا فانحدر الامام من الحصن الى أسفله وعمد الى باب الحصن وفتحه وقال لأصحابه ادخلوا وكبروا معى على بركة الله وتوفيقه وعونه فكبر القوم ودخلوا بأجمعهم فرحين مسرورين ثم ان الامام جلس يحدث ناقد عن الذى جرى له فى السرداب مع المردة ومع عدو الله هجام وذلك أنه لما رأى امير المؤمنين وسمع المنادى ظن هجام انه امير المؤمنين ثم بعد ان طلع من السرداب ودخل الحصن وهو قاصد البقعة التى فيها عدو الله وهجام فإذا هو به قائم فوقف الامام رضى الله تعالى عنه عند رأسه ورفسه برجله ولكنه لم يعجل له بالقتل ولكنه أيقظه على مهل وقال له قم يا ويلك هل أنت آمنت وتحصنت بغرور الشيطان ها أنا على بن أبى طالب قد أوصلنى اليك الرحمن فقال له ومن أين جئت وماتصنع فقال له جئت اليك ياعدو الله لأقبض روحك ولا أزال الآن حتى تصل بى الى الملك الهضام وإلهه المنيع وأحرقهم فى نارهم التى صنعوها بأيديهم فقال هجام ياابن أبى طالب من أين دخلت على فقد زاد سحرك على السحرة ومكرك على المكرة فغضب الامام رضى الله تعالى عنه غضبا شديدا من هذا الكلام وتقدم اليه وقطع رأسه وأخذها وقال للقوم هذه يا قوم رأس صاحبكم وكبيركم هجام وقد عجل الله بروحه الى النار فلما سمعوا من الامام هذا الكلام هاج بعضهم وحملوا جميعا على الامام رضى الله عنه فحمل

الامام عليهم حملته المعروفة فتكاثروا عليه فناداهم الى أين يا لئام فو الذى بعث ابن عمى بالحق بشيرا ونذيرا ما ارجع عنكم ان شاء الله تعالى حتى أفنيكم عن آخركم بالسيف او تقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما سمعوا ذلك قالوا بأجمعهم نحن نشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال لهم رسول الله لا أمان لكم حتى يكتف بعضكم بعضا فأجابوه وأوثقوا بعضهم كتافا ودخل أصحاب على رضى الله عنه فوجدوا أهله قد آمنوا فقال لهم رضى الله عنه تفرقوا فى الحصن واجمعوا ما كان فيه فأخذوه ووضعوه فى قلعة هجام وختم عليه ثم أنه عمر الحصن بالمسلمين الذين معه وأمر عليهم هون بن صفوان وأوصاهم بحفظ الحصن وحفظ ما فيه من الأموال والأمتعة وغير ذلك وأقاموا فى الحصن الى آخر النهار ثم تفكر رضى الله عنه فى العواقب فأمر أصحابه بالخروج من الحصن فخرج على أصحابه الى ان أتوا المكان الذى كانوا فيه أولا فلما نزلوا وتكاملوا تولى على حرس القوم فلما كان وقت السحر وهو يحوم حول أصحابه مثل الراعى الشفوق على أغنامه وإذا هو بثلاث فوارس مقبلين على جادة الطريق فلما تحققهم رضى الله عنه ترك أصحابه وأطلق عنان جواده اليهم من قبل أن يصلوا الى عسكره فلما وصل اليهم قال لهم من أنتم يا وجوه العرب ومن أين أقبلتم والى أين تريدون فظنوا أنه من الحصن المشرف فقالوا نحن طليعة من جيش الهضام قد قدمونا لنأخذ لهم خبر هذا الغلام على بن ابى طالب وقد كان بعث قبلنا طليعة مع جويرثة بن اسد وهى أربعة آلاف فارس ليأخذوا له خبر هذا الغلام والى أين وصل فهل عندك منه خبر يا هذا فقال لهم الامام بئس الأخبار وأقبح الآثار وأما جيورثه فقد أسلم وأقر لله تعالى بالوحدانية وما هو معنا مسلما وموحدا وأما أصحابه فقد قتلوا عن آخرهم وأما على فهو أنا الذى أكلمكم وأنتم بين يديه فلما سمعوا ذلك ذهلوا وهموا بالفرار فلوى الامام على رضى الله عنه واحد منهم وضربه بالسيف فوقعت الضربة على رأسه ووصل السيف إلى صدره فتكردس الى الأرض ثم هم بالاثنين الآخرين فقالوا له يا ابن ابى طالب ابق علينا فقال لهم على رضى الله عنه لن يجيركم من سيفى إلا ان تقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ففرح على بإسلامهم ثم سار الاثنين بين يديه

فأتى بهم إلى عسكره وسألهم عن الملك الهضام فأخبروه بخبره واقام على رضى الله عنه بقومه بقية يومه فلما برق ضيا. الفجر اذن الامام وصلى بالناس صلاة الصبح ثم أقبل عليهم وقال معاشر الناس ان هذا عدو الله الهضام قد خرج اليكم بجنوده وعساكره وقد قرب منا ولم يبق بيننا وبينه غير مسيرة الراكب المجد يوم ومعه مائة ألف فارس غير ما اجتمع اليهم بعد مسيرهم فما الذى ترونه من الراى هل نسير اليهم أم نتمهل حتى يسيروا الينا مع ان سيرنا اليهم وهجومنا عليهم أهيب فانى لا أفعل شيئا الا بمشورتكم ولا أخالفكم ولا أحملكم ما لا تطيقون فقالوا بأجمعهم يا ابن عم رسول الله افعل ما تريد ودبر أمرك كيف شئت فإنا لكلامك سامعون ومبادرون غير مخالفين .

(قال الراوى) فارتحل بالقوم وسار وجد فى المسير الى ان وصل الى الحصن فنظر اليه الامام فإذا هو كأنه قطعة من الليل اندامس فتأمله الامام فإذا المشركين قد تحصنوا فيه وشهروا سلاحهم ورفعوا رايتهم فلما أشرف عليهم عسكر الامام لم يكترثوا به لثقتهم بكثرتهم وان الملك الهضام سائر اليهم فعند ذلك نزل الامام بجيشه ثم سار الامام وحده الى الحصن فلما قرب السهم ناداهم معاشر الناس إن كان لكم شفقة على أنفسكم ورغبة فى حياتكم فافتحوا لنا باب الحصن فإن أبيتم فنحن نسفك دماءكم بعد ان نقتلكم عن آخركم او تقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله فإن قلتموها فأكف عنكم الشر ويأتيكم منى الخير .

(قال الراوى) فعند ذلك أجابه صاحب الحصن الأسود وهو مساور السفاك الباهلى وقال يا ابن أبى طالب انا إن قصر عمرك هو الذى أوصلك إلى ما وصلت وبلغك إلى ما بلغت وقد وقعت فى أوطاننا بهذه الشرذمة القليلة والعصابة اليسيرة فلما سمع الامام من عدو الله غضب غضبا شديدا وقال ستعلم يا ملعون فما على الرسول إلا البلاغ ثم رجع الامام عنه الى مكانه وقد اصفر وجهه من الغيظ فسأله الناس عن أمره قالوا يا أبا الحسن مالنا نراك متغير اللون فقال لهم مما سمعت من عدو الله مساور السفاك من فوق جدار الحصن وانى لا أفارقه حتى يأذن الله سبحانه وتعالى وأظنه صاحبهم القائم بأمر الحصن فوالله لو وصلت اليه لهان على فعله

وكلامه ثم ذكر لأصحابه ماقال له عدو الله ثم قال عدو الله معاشر الناس أشيروا على بما أصنع فإنى أخشى من قدوم عدو الله الهضام ان تملك هذا الحصن فإنه حصن منيع وما فتحنا حصنا الا والذى بعده أشد منه فقال جويرثة يا أمير المؤمنين ان فتح هذا الحصن بعيد الوصول اليه صعب شديد لأن حجارته أشـد من الحديد والماء عندهم غزير وطعامهم كثير وصاحبه المتولى عليه فارس عنيد ولذلك سموه السفاك فهو المعروف بالسفك بين قبائل العرب لسفكه دماء الرجال ونزل الامام بجانب الحصن بحيث لا تصل اليهم سهامهم ولم يزل الامام قائما الى وقت الزوال فبينما هو كذلك اذ أشرف عليه رجل على مطية قد أرسل زمامها وطول حطامها وهى تحرق الأرض حرقا وتقطع البيداء قطعا الى ان وصل الى عسكر المسلمين فنادى برفيع صوته معاشر الناس انى رسول اليكم فلما سمع الامام ذلك قال لك الأمان فأناخ الرجل مطيته وقال له أنت ظننت ان صاحب الجيش اوصلك من قريش فقال الامام نعم فتقدم الشيخ وناوله الكتاب .

(قال الراوى) فأخذ الامام الكتاب وقرأه فإذا فيه مكتوب باسمك اللهم من صاحب الدار والقرار ملك الملوك المذل لهيبته كل سيد وصعلوك الهضام بن عون بن غانم الباهلى الملقب بمرارة الموت الى الحدث العصفور والطفل المغرور على بن أبى طالب أما بعد فان الذى فعلته ووصلت اليه وأدركته فببقاء المنيع عليك واحسانه اليك فلا تغتر بفعلك والا زحفت عليك بأسود زائرة وأبطال للحرب متبادرة فيتركونك كشىء كان ولا بان وان أنت اطلعت واتيت مع حامل هذا بقينا عليك وأحسنا اليك فانظر لنفسك وتدبر لأمرك وقد أعـذر من أنذر فلما قرأ الامام رضى الله عنه ذلك الكتاب صرخ فى وجه موهوب صرخته المعروفة وقال قل له ليس عندى الا السيف فولى راجعا من حيث جاء وهو لا يصدق لنفسه بالخلاص من بين يدى الامام فصار يجد المسير الى ان وصل الى الهضام فلما نظره الهضام فقال ياموهب أخبرنى ما قربت وما قيل لك فقال أيها الملك هو قد جاوز المقدار ويرى من يخاطبه بالنار وما كنت مصدقا أنى راجع من زجراته ونهراته وانى قد جادلته بمجادلة المطارد وأرجوا بذلك رجوعه عما هو عازم عليه قاصد فما

رأيته يزداد الا غيظا وانه لم يكن مؤهلا لرد الجواب ولا أبقى موضعا للخطاب فانظر ما أنت صانع فإن هذا الغلام همام وأسد ضرغام وقضاء نازل لا يرد ولا يقاوم فلما سمع الملك ما قال موهوب جمل يعض على أنامله من شدة غيظه ثم خلع كبراء قومه وسادات عشيرته ووجوه أهل مملكته فلما أتوا اليه ووقفوا بين يديه قال لهم يا قوم ما تقولون فى هذا الأمر الذى وصل الينا من هذا الغلام وان الملوك والسادات تقول فى شأن اتخذلنا فأجابه كبراء قومه ان تذهب اليه وتأخذ روحه من بين جنبيه واما ما كان من الامام فالتفت الى ورائه وكان كثير الالتفات فنظر الى غبرة ثائرة وعجاجة متعلقة مرتفعة وخيول كثيرة وهى سائرة نحوه فلما رآهم الامام نادى معاشر الناس قربوا من هؤلاء اللئام ودونكم والخيل يا بنى الكرام فعطف الناس على الحصن ظلوا مسرعين والى الخيل مبادرين فاحتدت بهم العطفة والصياح من أعلى الحصن فظن اللئام أن الامام هاب بأصحابه فقال له مساور الى أين تريد يا ابن أبى طالب وقد جاء لاستقبالك لما علم بقدومك فلم يرد عليه جوابا بل انه تقدم الى جواده واستوى عليه راكبا وكثر الطعن والضرب حتى دار المشركين من حول الامام كالحلقة الدائرة فبينما هم كذلك واذا بصائح يصيح بالامام فقصد نحوه فرو ناقد وقد كان فى هذا اليوم قاتل قتالا شديدا فبينما ناقد فى معمعة الحرب اذ عرفه عمه غمام رأس القوم فصاح يا ناقد فقال ويحك يا ناقد أنا عمك غمام فقال له أنت عمى وبقتلك أبرد قلبى فغضب غمام من ناقد بن أخيه وقال لآخذك قبل ابن ابى طالب ثم حمل عليه وهاجه وهم ان يقتلعه من بحر سرجه فما أمكنه فبادره بضربة وظن أنه قد قتل منها فتلقاها ناقد فى الدرقة ولوحها قبل ان تصل اليه ولم يصبه منها شىء فلما رأى ذلك هجم عليه عمه غمام وهو لا يريد احد غيره فداخله وأراد أن يقتله من سرجه وضرب الآخر يده على عمه وربطا بعضهما فى سروجهم وتعاركا على جواديهما فبينما ناقد وعمه غمام على هذه الحالة اذ سمع صوته أمير المؤمنين فصاح ناقد لأجل أن يعرف الامام مكانه وكان عدو الله رابطه فقصد الامام نحوه وإذا هو ناقد متشابك مع عمه غمام فناداه يا ناقد أبشر فقد أتاك الفرج من عند الله ومن أميرك فلما نظر عدو الله هجمة الامام عليه وسرعته اليه سبق ناقد وتأخر

إلى ورائه وصرخ بقومه فمالت اليه الكتائب وخرج اليه مساور من الحصن بقومه وأنجده وقال للإمام اين يا امام من يخلصك منى واين ابن عمك محمد هيهات ان عاد ينظر اليك بعد هذا اليوم فتقدم الامام اليه وضربه ضربة هاشمية علوية وقال مع ضربته الله أكبر خذها يا عدو الله من يد على ولى الله فتلقاها عدو الله فى درقته فقطع السيف الدرقة ونزل إلى رأس عدو الله فجرحه جرحا يسيرا فلما أحس عدو الله بالضربة ولى هاربا وللنجاة طالبا فاستجار فى قومه فتقدمت الرغداء بنت الخطاف إلى الامام وقالت له يا ابن عم الرسول أتأذن لى ان أحمل عليهم وأبددهم فأذن لها الامام وكشفت لثامها واطلقت عنان جوادها وحملت على القوم وحمل الامام معها وقال لها يا رغداء لا تخافى ومعك أميرك فلما سمعت الرغداء ذلك من الامام صارت كالأسد إذا عاين فريسته وحطت فى القوم فصارت كل من ملكته ترسل رأسه عن جثته وجالت فيهم يمينا وشمالا حتى قتلت منهم الكثير فلما عاين المشركون ذلك منها قالوا لا صبر لنا على هذا ثم تأخروا إلى ورائهم فصاحت بهم إلى أين يا أولاد اللئام فتقدمت اليها الفرسان واحتاطت بها الشجعان وسار الامام فى أثر الرغداء واحتاطت الرجال وكثر القتال ولم يزل الحرب بين الفريقين وازدادت العساكر وعلا الصياح بين الفريقين فقال الامام لأصحابه ياقوم أن فى هذه الساعة ينصرنا الله عليهم فاحملوا وصدوا القوم بالضرب ثم حمل الامام ومازال حتى صار فى وسط المشركون فنظر علما كبيرا هائلا وقد نظم رمحه من أعلاه إلى أسفله باللؤلؤ الرطب وكان ذلك العلم هدية إلى الهضام فقال يا أخى خذ هذا العلم معك لتفتخر به على الامام وليعلم محمد وجميع من معه لايقدرون على مثله وكان إذا صار نصب ذلك العلم على رأسه فأخذه غمام وسار الى الامام فى ذلك اليوم ونظر إلى حصنه ولمعان جواهره وكانت أحباله من الابرسيم مرشوقة بجوانبه تحمله الرجال وتمسكه الأبطال فلما نظر الامام ذلك العلم وصفته قال لأصحابه ياقوم احملوا عليهم فإنى حامل على صاحب العلم فهمنى أن أملكه منه وأقتلعه من يد عدو الله فتقدم اليه ناقد وقال أنا معك يا أمير المؤمنين وتبادر القوم إلى الامام وكل منهم يقول وأنا معك يا ابن عم الرسول ﷺ فلما وصل اليهم الامام رضى الله عنه تصارخوا بأجمعهم وصاح كبيرهم بالعرب أنجدونى قبل أن يأخذ منكم العلم فتصارخت الرجال بالامام من كل جانب ومكان ولم يرجع



عن الذى معه العلم حتى ضربه ضربة هاشمية عربية فقسمت قسمين ولم ينطق بكلام ولم يبرح من مكانه فمال العلم من يده فلما رآه الذين ماسكون الأحبال تركوه وولوا هاربين وللنجاة طالبين فبادر الامام رضى الله عنه إلى العلم وأخذه قبل سقوطه إلى الأرض وضمه بين يديه فأسرع القوم اليه وهم يظنون أن لا يطيق بحمله الامام ولما حمل العلم انطلق به ولوى عنان جواده إلى قومه فلحقه غمام ومساور تصارخون بالامام وكان قد خرج الامام بالعلم من بين المشركين ولم يرح جواده إلى أن دخل إلى وسط عسكر المسلمين قال الله أكبر وكبر المسلمون معه وفرحوا فرحا شديدا فى ذلك اليوم فلما أخذ العلم من المشركين تحسرت قلوبهم وانقهروا قهرا عظيما حتى كادوا أن يتفرقعوا من شدة غيظهم ثم قبل الامام على أصحابه وقال ياقوم أن هذا اليوم قد ولى بضيائه وأقبل الليل بظلام فاحملوا بنا على القوم حملة رجل واحد فاننا لا نؤمن أن القوم عندما يتسبل الظلام يذهبون إلى الحصن ويتحصنون فيه فيعظم علينا الأمر فركب القوم خيولهم وأنشد بأسلحتهم إلى أن صاروا كالأسود لمغلغس الضاربة وقد اشتد عزمهم بأخذ العلم ونصرهم عليهم فعند ذلك قال لهم الامام احملوا عليهم بارك الله فيكم وعليكم لحمل الامام وحمل القوم فى أثره فلم يكن إلا كلمح البصر وقد انهزمت المشركون فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار فأخذهم السيف من جميع الجهات والأقطار فتفرقوا يمينا وشمالا وقد عمد غمام ومساور إلى الحصن ومعهم فئة قليلة من قومهم والامام فى أثرهم يحصد فيهم إلى أن أيقنوا بالهلاك فدخلوا الحصن وهم لا يصدقون بالدخول فغلقوا الباب وتركوا أصحابهم من خارج الحصر وكان الحصن الأسود لا تعمل فيه المعاويل فلما أوثقوا الحصن بالترابيس رجع الامام إلى من كان بخارج الحصن ومكن السيف فيهم فقتلهم عن آخرهم وتفرق المسلمون وراء المنهزمون وصار كل من القوه قتلوه وأخذوا سلبه وفرسه ثم أتى المسلمون إلى الامام فوجدوه قد أفنى من كان قصد باب الحصن عن آخرهم فأقبلوا من كل الجهات وأتوا إلى مكان المعركة وأخذوا جميع ما كان على المشركين وقرنوا الخيل بالخيل وحملوا عددهم على الرواحل وقد أقر الله أعين المسلمين بقتل ملكهم وعدوهم وأخذوا الغنيمة ودفعوها إلى الحصن المشرق وارتدوا سالمين ثم نزل الامام متباعدا عن الحصن

المشرق فجعل يفكر فى حيلة يملك بها الحصن قبل وصول الجيش اليه وقد قدم الامام وأمر أصحابه جميعا بالسهر وترك المنام فان هذه الليلة أعظم مما تقدم لكم من الليالى لأننا قريبون من جيش الملك ولا نأمن أن يهجم علينا هذان الفاجران اللذان فى هذا الحصن ومن معهم ويدهمونا فى ظلام الليل وإذا هجم عليكم القوم فليحرس كل منكم الآخر حين ينام وها أنا أطوف عليكم وجعل الامام رضى الله عنه يطوف بأصحابه وقد مضى من الليل نصفه فبينما هو شاخص وإذا بشخص قد لاح على بعد وهو يظهر تارة ويختفى تارة فتأمله الامام رضى الله عنه فلما تحققه الامام أمسكه وقال أخبرنى ما إسمك قال يا ابن عم الكرام لى الأمان إذ قلت نعم وحق ابن عمى أن صدقتنى فلك الأمان فقال الرجل يا أبا الحسن أن غماما أخا الملك لما هرب ودخل الحصن الزمنى أن أكشف له خبر جرجس أخيه بذلك كرها لك وها أنا بين يديك فان مننت فطالما أحسنت وان هلكت فما أنا متعرض لك فيما فعلت فعند ذلك تبسم الامام من قوله وفرح فرحا شديدا وقال له من أين نزلت أم من الباب خرجت فقال الرجل لا وحياتك يا مولاى أنهم من حين دخلوا الحصن هربا منك أغلقوه واتقوه بالاقفال والترابيس وما جسروا أن يفتحوه خوفا منك وانما أوثقونى بالاحبال وأرسلونى من أعلى الحصن فلما سمع الامام ذلك قال وكيف تصنع حين يرفعوك اليهم اذا رجعت فقال يا أبا الحسن أنهم عهدوا الى بعلامات جعلوها بينى وبينهم آخذ حجرا من الحجارة وانقر جدران الحصن ثلاث نقرات فاذا سمعوها علموا أنى صاحبهم فيرسلوا الى الاحبال فأوثق بها نفسى ويبقى بينى وبينهم علامة أخرى وهو أنى أجر الاحبال ثلاث مرات على الحائط فيرفعون الیهم فقال الامام لما سمع ذلك قال الله أكبر نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ثم التفت اليه وقال ما اسمك يا هذا قال غالب فقال الامام قم يا غالب وانزع ثيابك فقال له وما تريد بثيابى فقال الامام ارى فيها رأيا فعند ذلك نزع غالب ثيابه وهو يظن أن الامام يقطع رأسه وقال له بحق ابن عمك لا تقتلنى فقال له الامام يا غالب لك الامان ولاهلك وأولادك فطيب خاطرك وقر عينك فلا ينالك منى الا الخير فلما سمع غالب ذلك طابت نفسه وناوله ثيابه وكانت قديمة ونزع عمامته وناوله إياها فأخذها الامام ولبسها وتقلد بسيفه من تحت أطماره وأقبل على أصحابه وسلم وأمر عليهم ناقد وجنبل الرغدا. وخالد ووصام بحقل

العسكر وجميع مامعهم ثم قال ياقوم كونوا على خيولكم وتقربوا إلى الحصن
فاذا سمعتم نداء تأتونى مسرعــين ولتكن منكم جماعة ينظرون صوب الطريق
أشرف عليكم جيش ووصل اليكم فاعتنوا بالتهليل والتكبير فأنى أسرع اليكم ان
شاء الله تعالى ثم صار إلى جهة الحصن والقوم يتعجبون مما عزم عليه فقال غالب
يا أمير المؤمنين أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله فسر الامام
بذلك سرورا عظيما ثم سار الامام وهو غير مكترث إلى أن وصل الحصن وكان
غالب قد وصف له الموضع الذى نزل منه وأهل الحصن منتظرون الخبر فبينما
كذلك إذا لاح لهم خيال الامام وهو مقبل فظنوه صاحبهم فقال مساود ياغنام
لقد جاء رسولك أرجوا أن يكون جاء بسرورك ومازال الامام سائر إلى أن جاء إلى
الحصن فأخذ حجر ونقر به جدران الحصن ثلاث نقرات متواليات فلما سمع
القوم نقر الحصن أيقنوا انه غالب فارسلوا اليه حبلا من ليف النخل فأخذه الامام
وشد وسطه به وهو يفكر كيف يطيقون حمله خشى أن ينكروه لقتله فلما مكن الامام
نفسه بالحبل صبر وحمد الله وحرك نفسه بالحبل ثلاث مرات فايقنوا أنه صاحبهم
غالب فجروه فلم يستطيعوا أن يحركوه فقالوا أن هذا ثقيل علينا أثقل من المرة الاولى
فقال لهم مساور لاشك أنه كسب من مكان الواقعة وحمل نفسه من الأسلحة والدروع
فارسلوا اليه حبلا آخر واجمعوا الرجال وقال طلعوه من قبل أن يسمع بنا
ابن أبى طالب فيأتى الينا فلاحاجة لنا به فأرسلوا اليه حبلا ثانيا فجر نفسه معهم فهان
عليهم وما زالوا كذلك إلى أن وصل إلى أعلى الحصن ووقف على رجليه فتقدم
اليه مشاور وقال ما أبطاك وما كان من امرك وخبرك ياغالب فرفع الامام رأسه
وقال ياويلك يامشاور بل أنا الامام فلما سمع القوم ذكر على التجموا عن الكلام
ونظر بعضهم إلى بعض من أعلى الحصن فتقدم الامام إلى مشاور السفاك ورفعه بين
يديه وقذفه من أعلى الحصن على رأسه فنزل يهوى إلى الأرض فتهشم عظمه فى
لحمه فلم ينطق ولم يتحرك فى مكانه وعجل الله روحه إلى النار ثم التفت الامام إلى
غنام وجرد سيفه وقد وقف من دونه الرجال فصرخ فيهم صرختة المعروفة عنه
ففرقتهم يمينا وشمالا وتقدم الامام إلى غنام وهم أن يعلوه بالسيف فقال ياابن

عم رسول الله إنى كرمت أن أموت تحت السيف والآن فأنا أشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمد رسول الله فقال له الامام ياغمام لقد أفلحت ونجحت ولقد علم الله بك
السرور وفرح الامام بالسلامة فرحا شديدا ثم أن غمام لصق جنبه إلى جنب
الامام وصاروا يضربون بالسيف فى أهل الحصن إلى أن قالوا بأجمعهم نحن نشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ففرح الامام باسلامهم فرحا شديدا ثم انحدر
إلى أسفل الحصن لتفتح الباب فلما فتحه إلى أول من لقيه من أصحابه الرغداء بنت
الخطاف وسيفها مشهور فى يدها فرأت غمام وهو إلى جانب الامام فقالت للامام
ياسيدى ما أبقاك على غمام وهو رأس القوم فقال لها يارغداء أنه قد أصبح
أخا لى فى الدين وصار من جماعة المسلمين فلما سمعت ذلك تقدمت إلى غمام تقبل
رأسه وقالت له زادك الله فخرا على فخرك وعزا على عزك ثم أقبل ناقد ابن
الملك فلما نظر إلى عمه غماما وهو واقف بازاء أمير المؤمنين قال يا أمير المؤمنين
هل هو باقى على كفره وغيبه أو لا فقال له يا ناقد قبل رأس عمك فانه صار
شريكك فى الدين فاقبل ناقد على عمه وقبل رأسه وصالحه مصالحة الاسلام وفرح
به فرحا شديدا ثم أن الامام أمر الناس أن يجمعوا الاسلاب فجمعوها ووضعهم
بين يديه فأخذ الاموال والامتعة ووضعها فى دار عدو الله مساور وختم عليها
وأخذ جميع الخيول والمواشى وحصنهم فى الحصن وجعل فيه أقواما مسلمين
يحرسونه وأمر عليهم من يحفظه وأقام الامام ينظر ما يكون من أمر الله عز
وجل (قال الراوى) وكان الملك الهضام حين أرسل أخاه غماما ومعه سبعة آلاف
المتقدم ذكرهم أوصاهم أن يقوموا إلى الامام من بين يديه وجهز اخاه علقمة
فى سبعة آلاف آخر وامره أن يسير فى الوادى حتى يأتى إلى ابن ابى طالب
من خلفه فهذا ماكان من أمر غمام وقد هداه الله الى الاسلام هذا ماكان من
امر علقمة فقد أخفى الله امره وبطىء على غمام خبره وقد من الله على الامام
بفتح الحصن وقتل صاحبه مساور واسلام جميع قومه ثم بعث الامام رجلا من
قومه وقال له اكشف لنا الطريق عن عدو الله الهضام وانظر مايظهر لك وعد
إلى بالخبر راجعا بلا تعويق وبعث وجعلا وقصد كل واحد ناحيته كما امره الامام
وامر جنبل ان يذهب بالاسلاب إلى الحصن المشرف ويأخذ معه مائة عبد

فصار كما يأمره الامام ولم يزالوا كذلك على ما أمرهم الامام الى أن ولى نصف النهار
وقد أبطأ على الامام خبر الفارسين والطليعة فقلق الامام من ذلك قلقا شديدا وكان
علقم لما خرج الى حرب الامام حاد عن الطريق وسلك طريق آخر لأجل أن يقطع خط
الرجعة على الامام فتقابل مع جنبل وأراد أن ياخذ منه الاسلاب والأموال فبرز اليه
فارس وصار ينادي ياويلك الق حسامك وقف مكانك فقصر جنبل حتى كاد عدو الله
أن يصل اليه فعطف عليه جنبل كأنه شعلة نار وضربه بالسيف الى صدره ولم يزل حتى
وصل الى السرج فتجندل عدو الله الى الأرض صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى
النار واخذ جنبل جواده ودفعه الى رجل من اصحابه ثم وقف وهز سيفه وقال ياويلكم
يا اعداء الله فأنا رفيق ولى الله ابى الحسن (قال الراوى) فلما سمع عدو الله علقمة ذلك اشتد
غضب جنبل حتى قام فى سرجه وقعد من شدة قهره وقال وحق المنيع لقد كبر عارنا وارد
شرنا وصول هذا العبد اللئيم الى عبث صاحبنا ولقد غفل المنيع ورمانا بكل امر شنيع ثم
عطف جنبل وسيفه بيده مخضب بالدم الى عدو الله علقمه وما زال كذلك الى ان اراد قتاله
فنادى برفيع صوته يا اهل الكفر والطغيان هلموا الى اهل القرآن وفضوا عبادة
الاصنام والاوثان واعكفوا على عبادة الله العظيم الملك الديان هل من مبارز هل من مناجز
فأنا الاسد الظمآن الى شرب دماء الابطال الشجعان فلما سمع عدو الله علقمة ذلك نزع
جنبل عمامته من فوق رأسه غاضبا وجلد بها الارض وقال وحق المنيع وزلاه بعد
العز والملك تنادينا الصعيد الارزال ان هذا من اعظم النكال ثم قال وحق المنيع لازيلن عن
المملكة حجابها ولاهدمن سورها ولاخرجن الى هذا العبيد اللئيم بنفسي ولايردن بقتله
كبدى ثم أصلبه وأخذ عدة حربه وهم بالخروج الى جنبل فتعلق به رجل يقال له شكا وكان
ذلك الرجل شجاع ومن أصحاب الملك الهضام وكان شديد البأس قوى سريع الاختلاس
فقال له أيها السيد انى وحق المنيع عازم على الخروج اليه وقاصد بالهجمة عليه ولقد كنت
أقسمت بالمنيع أن لا أقاتل أحد حتى أقاتل على بن أبى طالب والآن قد هاجت شعورى
ومروءتى ولا عادلى الصبر عن الخروج الى هذا العبد الذميم فخرج شكا كأنه سهما
غليظ من نار هز سيفه وزاد رمحه الى أن دنا من جنبل ونادى ويحك يا جنبل لقد مت
أمجنون أنت أم سكران وحمل عليه وأرسل سنان رمحه اليه فعطف على جنبل ولو ضربه

باليف فقفصه من أعلاه بالسنان وسار بقية العود فى يده كالجريد فألقاه من يده إلى الأرض وأراد أن يجرد سيفه فبادر جنبل بضربه قبل أن يمس حسامه وضربه بالسيف على رأسه فقطع البيضة ونزل إلى أن وصل السيف إلى محارمه وسحب السيف منه فنكس عدو الله على رأسه وعجل الله بروحه إلى النار فلما نظر عدو الله علقمة إلى ذلك لم يطق صبرا دون صرخ بقومه فاجتمعوا كلهم بين يديه وقالوا ما تريد أيها السيد أتريد أن نحمل عليه بجمعنا فقال لا وحق المنيع لا يخرج اليه غيرى فكفانى هذا العار وكان علقمة جريئا على قتال الرجال لا يهاب الأبطال يبادر إلى النزال فلما نظر جنبل إلى جروحه تهيأ لقتاله وبادر بالخديعة قبل أن يصل اليه وقال ياسيدى طابت نفسك أن تخرج لقتالى وسفك دمى ونسيت مواليتى وأكرمتنى وما كنت الذى أمد يدى اليك بسوء لقد قدمت على فعلى ولو علمت ما فى قلبك على من الغيظ فلا آمرك فصاح به علقمة عند ذاك وقال اليك عنى فما أسوأك من عبد لقد تعلمت الخداع ياملعون دع هذا الكلام فلا بد لى من قتلك وآخذك وأرميك فى نار المنيع بكل أمر شنيع فقال جنبل وحق الذى من على الاسلام وهو الذى خلق السموات والأرض لئن أظفرنى الله بك يالعين لأقطعن رأسك هذا ما كان منهما وأما ما كان من الملك الهضام لبس خلعة الغضب ولبس درع الغضب فالويل لمن لقيه من أعدائه ثم ساروا ولم تقدم اليه طليعة بل تقدم بنفسه أمام القوم وتلاحقت به العساكر بالخيل والرايات والبنود وأقبلت الكتائب تلو بعضها بعض أثر بعض قبيلة أثر قبيلة وساروا إلى أن وقعت العين على العين فنظر الامام صفوف المشركين فصاح بأعلى صوته معاشر المسلمين إن أعدائكم متاهلون لقتالكم فكونوا على صفوفكم ومراتبكم إلى أن أعود اليكم ثم خرج أمير المؤمنين بنفسه وتقدم إلى القوم بالأعذار والانذار ولم يزل يتقرب اليهم حتى كاد أن يخالطهم وهو يسير على مهل من غير طيش ولا عجل فاضطربت الصفوف وتصارخت الرجال من حول الملك العظيم وقالوا له قف مكانك ياغلام بهذا محل الواقعة ومرتبة بالمملكة ومواقف السلطنة والملك بعينه يراك ويرعاك فان كنت رسولا فقل ما عندك هذا والامام لا يسمع كلامهم ولا يرد جوابهم إلى أن دنا بهم (قال الراوى) ففرح الملك بذلك فرحا شديدا

وكان نيته أن يسير الامام تحت طاعته ثم قال يامسطاح ولئن رعيت ابن أبي طالب
فى حتى يدخل تحت طاعتى لأجعلته الموكل بنارى وجنتى وأما أنت يامسطاح
فلك عندي ماتطاولت اليه يدك من الاحسان فعند ذلك عطف مسطاح بجواده
نحو الامام فناداه الملك قف مكانك يامسطاح فامسك جواده ووقف مكانه فأمر
له بخلعة من الذيباج وتاج مرصع بالدر وعقــد به قبة ثم قال يامسطاح كن فى
هذه القبة ليراك بعين المهابة والفخار ويشاهد عليك من هذه المملكة آثار ثم خلع من
أصبعه خاتما من ياقوت وقال خذ هذا الخاتم قل له هذا خاتم الأمان من عند
الملك وسيرى بين يديه العجائب عليها سروج الذهب الاحمر وقد نشر على رأسه
علمين زاهرين والعبيد يقودوا النجائب وسار مسطاح إلى أن وصل إلى الامام
فنظر الامام إليه وإلى زينته فظن انه الملك الهضــام فتأهب الامام فلما ان قرب
منه الامام تقــدم مسطاح وصاح به الامام قف مكانك واحبس زمامك واظهر
كلامك فاللسان ترجمان الانسان فمن أنت ياهذا وفيم أقبلت فناداه مسطاح يامولاى
أنا راجل فى محبتك ومن أجلك مجروح وأنا بغير مطال ولا كثرة مقال اشهد
أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فناداه الامام سعدت ياهذا بالايمان
فما الذى قدمت اليه فقــال له مسطاح هو يامولاى أن لى أمر أتيت اليك
مساعداً ومسارعا وأنا صاحب حصن الفواكه وان معى رجالا فى الحصن
يسمعون قولى فان احببت أن أرجع اليهم وادعوهم للاسلام ومامن الله على من
الايمان وأكرههم فى الكفر والفسوق والعصيان واجتهد أن أنقذهم من ضلالة
الكفر والطغيان وانى يامولاى آمن من الله تعالى أن يكون هلاك القوم وعدو
الله على يدى إن شاء الله تعالى فشكره الامام وجازاه خيراً وقال له يامسطاح
أرجع إلى أن يحكم الله بما يشاء ويختار فرجع مسطاح إلى الملك الهضام وقد
اشرق وجهه بنور الايمان فنظر اليه الملك فرأى نور الهــداية يلوح من وجهه
وعليه هيبة الاسلام فاستقبل الملك وقال له يامسطاح أرى وجهك منيرا فقال
أيها الملك انى لما سرت وتوجهت إلى ناحية القوم مازلت سائراً إلى أن أتيت
إلى رجل قل فى الناس مثله لايجوز عليه خديعة ولا يخفى عليه نكر وانى ذكرت
له مناقب الملك وكرمه ورغبته فى جنتك وحذرته من نارك فلان واستكان

ودخل نحن الطاعة والامانه إلا أنه ذكر لى ان له معك خطابا وعتابا وأمر أن يظهر عندك هناك فى مشهد من قومك فلما سمع الهضام من مسطاح ذلك الكلام فرح فرحا شديدا وظن أن ذلك حق وغرق فى بحر التحير وأمر الناس بالنزول فنزلوا وتفرقوا فى تلك الارض وكان الملك الهضام قد قاد معه أربعة آلاف مطية للنحر ففرق منهم فى تلك الليلة على القول مامعهم ودفع منها لمسطاح مائة ينحرها لأهل الحصن وقال يامسطاح خذ هؤلاء النوق وانحرها لقومك ليكونوا معنا فى السرور فقام مسطاح وقاد المطايا بين يديه إلى أن وصل إلى الحصن لجمع قومه وقام فيهم كالخطيب وشوقهم إلى الجنة وحذرهم من النار ورغبهم فى عبادة الملك الجبار ودعاهم إلى الاسلام وشوقهم إلى رسول الله ﷺ فقالوا ياسيدنا ما الذى تريد منا أن نفعل فقال لهم أن تقروا الله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرساله فقالوا بأجمعهم نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدرسول الله فعند ذلك خر مسطاح ساجدا شاكرا لله تعالى ثم قال لهم انحروا الآن الجزور على اسم الله تعالى فقد جمعت الآن فرحتان ونحن مسرورون بأخذ الامان من ابن أبى طالب فابشروا ياقوم فانى نجيتكم فى الدنيا من العار فهذا ما كان من خبر الامام فانه حين وضع مسطاح من عنده نزل وأمر الناس بالنزول ثم جمع أصحابه وقال هذه الليلة آخر الليالى مع الكفرة اللئام فاستبشر بقوله فلما أتى الليل واسدل الظلام واضرمت المشركون النيران وتحارست الفئتان فلم يزل الناس فى تلك الليلة أكثر حرساً على القوم من الامام حذرا من حيلة أو كبسة فى ظلام الليل فكان يحوم بنفسه على أصحابه إذا لاح لها فارس يركض جواده ركضا خفيفاً فشهر الامام سيفه بيده ومازال سائراً إلى أن وصل إلى الفارس وهم ان يضربه فصاح به فاذا هو مسطاح فقال له أهلا وسهلا ومرحبا ما الذى اتاك فى هذا الوقت قال ياسيدى فرح عاجل وسرور شامل فيما أنت فيه متطاول فقال الامام ابشرنى باسلام قومك فقال ياسيدى قومى اسلموا وابشرك بالوصول إلى عدوك وعدوى الهضام وأن قومى قد اسلموا أربعة آلاف فارس والملك الهضام قد وصل إلى فى عسكر قليل من قومه وهو الآن داخل الحصن وأعلم يامولاى أن القوم متحيرون فلما سمع الامام ذلك الكلام من مسطاح تقلد بسيفه وتمنطق بجحفته وركب جواد

وسار ومسطاح باذائه فلما وصلوا إلى الحصن وجدوا الناس جالسين فى انتظارهم فقالوا
أهلا وسهلا بسيد الشجعان فناداه الملك الهضام أين كنت يامسطاح قال أيها الملك
كنت عنـــد صديق لى ولك دعوته ليأكل معك الطعام ليمثله من الملك الاكرام
فلما نظر الملك إلى أمير المؤمنين وإلى هول خلقته وكبر جثته وعرض مناكبه امتلأ
قلبه خوفا وفزعا وقال من هذا يامسطاح فقال له أمير المؤمنين على بن أبى طالب
ثم تقدم اليه أمير المؤمنين فتوثبت القوم وأسرع مسطاح إلى باب الحصن فأغلقه
واخترط حسامه وقال الله أكبر فتح ونصر من أمن وخذل من كفر يالئام والتفت
إلى قومه وقال ياجند اظهروا سيوفكم فاظهروا السيوف ونادوا بأجمهم نحن نشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ومال القوم بأجمعهم إلى ناحية الامام وهو
مضيق على الهضام وأصحابه فناداهم الامام أيها النـاس امهلوا عليه وتفرقوا عنه
وتركوه فرجع الناس عنه وسيوفهم مشهورة فى أيديهم ثم أن الملك الهضام قال
ياإمام أنت عليك بالمهل وترك العجل فقد رفعت عندى منزلتك ولولا أنه لاح لى
من أمرك الحق وبان الصدق قال وهل فيه شىء غير ذلك فقال الامام لا يكون شىء
ذلك فقال الامام قم بنا الآن إن كنت أمنت بالله ونبيه وادع قومك إلى الاسلام
وإن كنت غير ذلك فانه أعلم ثم أتى الامام إلى الهضام فقال لهم أنتم قائلون فقالوا
مانحول عن ديننا أبدا فقال الامام لمسطاح هو وقومه دونكم وإياهم فما استتم كلامه
حتى عطفوا عليهم فقتلوهم عن آخرهم والهضام ينظر اليهم ويرتعد كالسعفة فى الريح
العاصف حتى رأى الموت بعينه واصطكت أسنانه بعضها فى بعض فالتفت اليـــه
أمير المؤمنين وقال له دونك وقومك يا هضام امض اليهم وأسرع بالجواد فقد
أمهلتك وأمهلت قومك وجميع من معك إلى الصباح فان جئنى الصبح وأنيت مسلما
فلك الأمان ومن طلعت عليه وهو مصر على دينه فلا أمان له عنـــدى الا
السيف فتقدم الهضام إلى جواده فركبه حين أعطاه الامام الأمان وكان لا يصدق
بالخلاص فصار مسطاح وقومه يشيرون للامام أن يسمح له بالخروج لما يعلمون
من كفره وخديعته فتبسم ضاحكا من كلامهم فلما خرج الهضام قال مسطاح ياأمير
المؤمنين لقد أطلقت من يدك أسداً عظيما وقل أن يعود وإن ويقع فى يدك

مثل هذه المرة فقال الامام يامسطاح لقد حمى نفسه بقوله لا اله الا الله محمد رسول الله ولا سبيل لنا على من قالها والليلة آخر لياليه والله مهلكه وانكم سترون منه ومن صحته عجائب وغرائب ثم هم الامام بالخروج فقال مسطاح ياسيدى أما تاكل من طعامنا وتشرفنا وتسر قلوبنا قد ذبحنا على اسم الله تعالى فقال انى أخشى على اخوانكم أن يطرقهم طارق من هذا الكاتب المنافق فجاء الأكل فأكل الامام وحمد الله وأثنى عليه وركب جواده وهم بالخروج وأوصاهم وقال اغلقوا عنهم ولا تخافوا فانى راجع اليكم وأطلق عنان جواده وخرج من الحصن فنظر الى الأرض وهى تموج من أصطكاك الخيل وصهيلها وزعيق الأبطال فقال الامام لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكان عدو الله الهضام لما خرج من الحصن فنطر الى الأرض نفسه أطلق عنان جواده حتى وصل الى معسكره وصرخ فيهم وقال ياويلكم اركبوا الخيل واهجموا على القوم فى الليل فقد حصدوا قومكم بالسيف وقد كاد أن يحصد صاحبكم لولا سبق الأجل فاغتنموا غفلة القوم لأن الامام قد خاف أغنامامائية وقام عبد بنفسه إلى أصحاب الاما الام وقد غشيتهم جنود عدو الله الهضام وزحف عليهم الرجال وتزاعقت الأبطال وكان أصحاب الامام متأهبين للقتال كما أمرهم تولى حرسهم ناقد بن الملك بروا الرغـــداء وجنبل فلما سمعوا زعقته على قومه فتواثبت أصحاب الامام كالأسود الزائرة واجتمعوا ولصقوا مناكبهم الى بعض والتفوا حتى صاروا كالحلقه الدائرة وقال بعضهم لبعض كونوا أشداد لأن أميركم لا يغفل عنكم فاحتوت عليهم جنود الهضام من كل جهة وهم يظنون أنهم ظافرون بهم فلما التقى الجمعان علم أصحاب الهضام أن ما أملوا منهم بعيدا والوصول اليهم صعب فاشتد القتال وازدحمت الأبطال وصار الرجال لا يعرف صديقه من عدوه فبينماهم كذلك اذا سمع الفريقان زجرات وصرخات مزعجات وكان الامام قد أقبل وعلا صوته على جميع الأصوات فخمدت عند صرخته جميع الصرخات فلما سمعه أصحابه وهو يقول الله أكبر نصر من الله وفتح قريب يا معشر المسلمين اصبروا يا كرام فقـــد آتاكم الأسـد الضرغام ليث بنى غالب على بن أبى طالب ثم حمل الامام عقب كلامه وكبر تكبيره عظيمة فأجابه قومه عند التكبير وخمـــدت أصواتهم

ولم يزل الامام يخترق المواكب ويشتتها ويضرب فيهم بالسيف إلى أن وصل إلى قومه وقد طحن الأبطال وهلك الرجال فلما وصل إلى أصحابه نادى معاشر الأصحاب قد أتاكم أميركم وحامى حكومتكم أحملوا بارك الله فيكم فحملوا وهو فى أوائلهم وعمد الى الكافر الغدار المنافق رأس الكفار وقال له هلم إلى الموت والدمار ومن الفارس الكرار قاتل الفجار ومبيد الكفار وقامع الأشرار وسائقهم إلى الويل والدمار ومفنيهم بالصارم البتار فلم ير الامام له خبر ولا وقع له على أثر وقد اختلط القوم فى الظلام وأذاقوا بعضهم الويل الى ان كلت الخيل من تحتهم وكانت ليلة يا لها من ليلة ما رأى الناس أعظم من قتالها ولا أشد من نزالها ولم ير مثلها على عهد رسول الله ﷺ ولم يزل كذلك الى أن طلع الفجر فافترق القوم عند الصباح وقد ملئت الأرض أشباحا بلا أرواح إلى أن غاصت الخيل فى الدماء فلم يكن غير قليل من الليل حتى أفقد المشركون صاحبهم الهضام وافتقد المسلمون أميرهم فلم يروه ولا علموا بغيبة الهضام ولا المسلمون علموا بغيبة الامام أما المسلمون فوضوا أمرهم الى الله عز وجل وقد أجمعوا أمرهم على أن يقاتلوا إلى ان يفنوا عن آخرهم وأما ما كان من أمير المؤمنين فإنه كان يدور من العسكر فى القتال وهو يطلب عدو الله الهضام فلم يجده ولم يقع على خبره فى وقت الحرب فبينما هو كذلك إذ نظر إلى عدو الله وهو خارج من معمعة الحرب هاربا وعلى وجهه طالبا إلى الحصن الذى هو حصن الحصون فخرج الامام فى أثره إلى أن وصل الى الحصن الأقصى قبل أن يصل عدو الله الهضام فنظر الامام الى الحصن فإذا عليه الحرس الشديد فأراد أن يصل الى باب الحصن فلم يجد اليه سبيلا فجعل يطوف حول الحصن يمينا وشمالا فإذا هو بخرق كانوا اصطنعوه لأجل خروج المطر منه إذا اجتمع فى الحصن مكانه فنظر الامام فيه فوجده ضيقا فشبك فى حجر بيديه وجذبه فاقتلعه من مكانه وأزاله عن بنيانه ثم قطع آخر ولم يزل كذلك الى أن دخل الحصن القوم ولا يعلمون بشىء من ذلك بتوفيق الله تعالى وأقبل الامام يمشى فى الحصن كأنه يعرفه سابقا أو يعرف طرقه ومسلكه هدى من الله سبحانه وتعالى ولم يزل كذلك الى أن وصل الى القبة التى فيها الصنم وهذا بتوفيق من الله وهو متعلق فى الهواء والقناديل

موقوده لا تطفأ ليلا ولا نهارا وليس عنده مساعد فنظر الامام اليه فماج الصنم
واضطرب فى القبة وتخبط فى حيطانها ورمت المردة الموكلون به بنيرانه وارتفع
الصنم حتى صار فى سماء القبة ورمى الامام من أعلى القبة بالصخر والجنادل وخرج
من فم الصنم لهيب النار وظهر للناس رؤوس بلا أبدان فلما نظر الامام الى تلك
الفعال من الصنم والشياطين والمردة لم يكبر عليه شيء من ذلك بل تبسم ضاحكا
وصاح بهم ياويلكم أنا من تعرفوه ولاتنكروه أنا البلبلة البادية أنا الصاعقة عليكم
أنا مفنيكم جيلا بعد جيل فلما فرغ الامام من أوصافه ازداد الأمر وكثر الشر
وهجمت النيران وعلا الدخان وتصاعدت الزعقات وعظم الشأن ودارت المردة
والشياطين حول الامام من كل جانب فلما نظر الامام ذلك عزم عليه بأسماء الله
العظام فعند ذلك خمدت نيرانهم وذهب دخانهم وعاد الصنم المنيع ملق صريع
فأخذه الإمام ووضعه فى مكان آخر وأما الهضام فإنه لما سمع زعقات الامام خاف
خوفا شديدا وولى هاربا من معمعة الحرب وركب جواده إلى وصل إلى الحصن
الأقصى وكان قد ترك فيه شوية من الرجال فلما أن وصل باب الحصن صرخ بقومه
فنزلوا اليه مسرعين وفتحوا له الباب وسألوه عن حاله فلم يرد عليهم جوابا غير أنه
قال اغلقوا بابكم واحفظوا حصنكم ليدخل الامام ومضى الى الصنم المنيع قاصدا
فنزل عن جواده وجعل يهرول ويوسع فى خطاه حتى فتح القبة ودخل للصنم مستغيثا
ومستجيرا فلما توسط القبة وكان الصباح قد أصبح نادى إلهه المنيع وقال الهى
هل عندك ملاذ من سيف الامام ثم رفع بصره اليه فلم يره وطلبه فلم يجده فحار
وذهل وجعل يمسح عينيه وينظر اليه فقال ما أنا وأنت الا فى البلية سواء فكل
منا هارب من الامام فأما فموجود وأما أنت فمفقود ووقف حائرا واذا بقائل يقول
له بل نزل به البلاء من يد الامام المرتضى فلما سمع الهضام التفت وراءه فاذا بالامام
وقف يخاطبه فاندهش من ذلك وحار وقال ياعلى أنت من السماء نزلت أم
من الأرض نبعث فقال له الامام أنا معك أينما توجهت أنى لصنمك
أخذت وهو بين يدى فلما نظر الهضام إلى صنمه وهو فى يد الامام
جعل يقبله ويبكى عليه ويتضرع اليه فانقض عليه الامام وقبض عليه قبضة

مزعجة وجلد به الأرض فقال يا ابن أبي طالب خذ الفداء عني وعن صنمي المنيع الاله الرفيع فقال له الامام تعساً لك وبصنمك ثم مد يده إلى عمامته فحلها وأوثقه كتافا وتركه لا يستطيع التحرك فبينما الامام كذلك إذ سمع صرخات قد علت وضجات فلما تحقق ذلك ترك الهضام في مكانه وصعد حتى صار على أعلى الصور وتخالط بالقوم وهم لا يعلمون ما حل بالهضام ولم يعرفوا الامام فبينما هو ينظر أعلى الوادي إذ رأى أن المنهزمين من المشركين متوجهين من حصن الفواكه إلى الحصن الأقصى من يد المسلمين والمسلمون من ورائهم يأخذونهم من كل جانب ففرح الإمام بذلك فرحا شديدا وسمع مسطاح وهو ينادي إلى أين يا أبناء الأراذل تمضون فلما نظر الامام زادت به الافراح وهذا والمشركون يقولون يا سرار بن طارق افتح لنا الباب فصرخ سرار لا نفتح لكم الباب لئلا يدركنا علي بن أبي طالب كل هذا والامام بينهم ولم يرد عليهم جوابا ثم امتشق سيفه ووثب فيهم وقال يا ويلكم ان سلمتم لي أنفسكم واستأسرتم بأجمعكم والا محوتكم بهذا السيف عن آخركم فعند ذلك صاحوا بأجمعهم الامان يا ابن أبي طالب فقال كتفوا بعضكم بعضا فأخذ القوم في تكتيفهم حتى لم يبق أحد منهم وأما ما كان من جيش الهضام والمسلمون فانهم قد احاطوا بالمشركين فبينما هم كذلك وإذا بعجاج قد طلع من ناحية حصن الفواكه وبينهم فارس في جواد سابق فلما وصل حمل هو بقومه ففرحت به المسلمين حين نظروه وإذا هو مسطاح الاقرن وهو ينادي ويهول أبشروا بالنصر يا حزب الرحمن فانا مسطاح أنا قاتل الفرسان فلما سمع المشركون ذلك ولت الأدبار وتوجهوا نحو الحصن والديار فلما وصلوا إلى الحصن نادوا يا سرار يا ابن طارق افتح لنا الباب والمسلمون من ورائهم هذا والإمام قد كتف الملك الهضام في مكانه فسمع الصحات والصرخات وصعد إلى أعلى الحصن فلما وصل المنهزمين نزل الامام من أعلى الحصن الى المكان الذي فيه الهضام وقال له ويحك ما أنت قائل فقال الهضام أشهد علي يا ابن أبي طالب انك أخذت بسحرك جميع أولاد الملوك فعند ذلك غضب غضبا شديدا فما صبر دون ان أقام اليه ورفعه وجلد به الأرض فادخل اضلاعه بعضها في بعض ولم يتحرك ولم ينطق وعجل الله بروحه إلى النار وتقدم الامام إلى الصنم وأخذ صخرة عظيمة وضرب بها فقطعه قطعا وأمر به الهضام أن يحملوهم ويطرحوهم في نارهم التي صنعوها وجعل على العبيد زبانية وأخذ جميع العبيد ودخل الجنة وأخذ كل شيء كان فيها من الذهب والجواهر واليواقيت فلما فرغ

الامام من ذلك ارسل إلى جميع الحصون وأحضر أمراءهم بين يديه وأقام عليهم ناقد سلطانا كما كان ابوه أولا وأقام بينهم شرائع الايمان والاسلام وأمر ببناء المساجد وتلاوة آيات الله واكرام الفقراء والمساكين والأيتام وأمر على حصن الحصون عمه غمام كعادته فى حياة الهضام واقام أيام ثلاثة وأراد أن يتوجه إلى مدينة يثرب لمشاهدة ابن عمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ فاقبل عليه ناقد بن الملك وقال يا أمير المؤمنين لى اليك حاجة فقال الامام أسأل عما بدالك تعط كل ما تريدان شاء الله تعالى فقال ياسيدى أريد أن أتزوج بالرغداء بنت الخطاف فقال له السمع والطاعة وأرسل إلى الرغداء وأعلمها بذلك فقالت له السمع والطاعة فصنع لهم الامام رضى الله عنه وليمة عظيمة دعى اليها العرب وزوجه أمير المؤمنين بالرغداء فى تلك الليلة وعطاها جميع ما تحتاجه النساء وأقام معها فى عيشة هنيئة ثم ان الامام رضى الله عنه وضع للعرب وليمة وأرخت عليهم سرادقات الحلوة وتجهز إلى السير نحو مدينة يثرب فقام ناقد وكبراء قومه ورؤساء حصونه ومن معه من اصحاب المسلمين وصاروا يودعون أمير المؤمنين فكان كلما أتى حصن من الحصون يقيم يوم أو يومين وهو يعلمهم فى شرائع دينهم حتى خرج من الحصون وناقد معه وقومه يتبعونه ويودعونه فأمرهم الامام بالرجوع وساروا يجدوا السير وكان كلما أتى إلى حصن يقسم غنائمه خمسة أخماس ويعطى الامير الذى فيه هو وقومه خمسا ويحمل الاربعة أخماس إلى بيت مال المسلمين وسار علم الانوار الذى اغتنمه منصوب على رأسه إلى أن أتى المدينة المنورة فلما قرب من المدينة هبط جبريل عليه السلام إلى النبى ﷺ سيد الأنام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام وبشر بقدوم الفارس الهمام الامير على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه وبشره بما فتح على يده بقتل عدو الله الهضام فأمر رسول الله المهاجرين والانصار إلى البرارى لملاقاة على الكرار ففرحوا بذلك فرحا شديدا وركبوا خيولهم وركب النبى ﷺ إلى أن تقابل معه وضمه إلى صدره فضمه المسلمون والجيوش وفرحوا فرحا شديدا وأخذ النبى ﷺ الغنائم والعلم والانوار الذى جاء به الامام وفرقها على أهل المدينة ولم يترك أحد من المسلمون الا وأعطاه نصيبه وكانت مدة غيبة الامام ورجوعه أربعين يوما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تم بعون الله ﴾



